

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

3 8534 01027 3682

02-86168

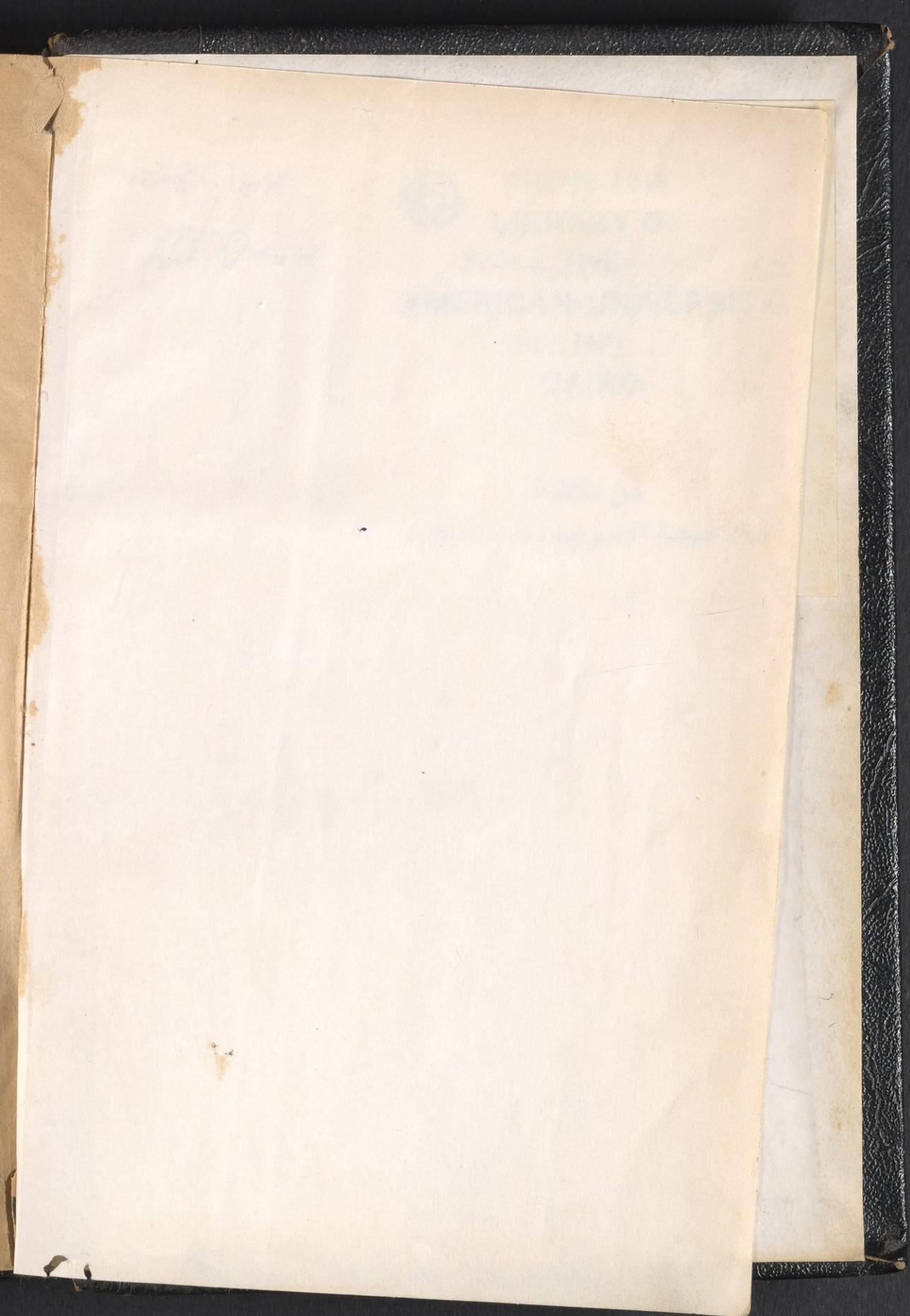
فت ١٢٥١٢



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

١٢



PJ
7828
K52
M255

al-Hakim, Tawfiq

توفيق الحكيم

الملك أوديب

سوفوكليس

الناشر: مكتبة الآداب بالجاميز تليفون ٤٢٧٧٧

الطبعة المنوّهة
٦ بيعة الشاوي بالجامعة الجديرة

oLC
24176452

B11792498
13112120

88p
Sp60

28575

كتب توفيق الحكيم
التي نشرت في اللغة العربية

- محمد
- (الطبعة الأولى .)
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)
(الطبعة الثانية :)
(مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)
- شهر زاد
- (الطبعة الأولى :)
(مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)
(الطبعة الثانية :)
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)
- أهل الكهف
- (الطبعة الأولى :)
(مطبعة مصر عام ١٩٣٣)
(الطبعة الثانية :)
(مطبعة الاعتقاد عام ١٩٣٣)
(الطبعة الثالثة :)
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠)
(الطبعة الرابعة :)
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)
(الطبعة الخامسة .)
(المطبعة النموذجية عام ١٩٤٨)
- عودة الروح
في جزأين
- أهل الفن
- مسرحيات
توفيق الحكيم
- (الطبعة الأولى : ويشمل قصص : سر المنتحرة ، نهر
الجنون ، رصاصة في القلب ، جنسنا اللطيف .)
(مطبعة الاعتقاد عام ١٩٣٧)

تابع السكتب التي نشرت في اللغة العربية

بالاشتراك مع الدكتور طه حسين بك
(مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

القصر المسحور

المجلد الثاني : ويشمل قصص : الخروج من الجنة أو
المهمة . أمام شباك التذاكر . الزمار . حياة تحطمت .
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)

مسرحيات
توفيق الحكيم

الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)
الطبعة الثانية لحساب وزارة المعارف العمومية
(مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر عام ١٩٣٧)

يوميات نائب
في الأرياف

الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثالثة :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)

عصفور من
الشرق

الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثالثة : (مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)

تحت شمس
الفكر

تابع الكتب التي نشرت في اللغة العربية

الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)

تاريخ حياة معدة

الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

عهد الشيطان

(مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)

براكسا

أو

مشكلة الحكم

الطبعة الأولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)

راقصة المعبد

(مطبعة مصر عام ١٩٤٠)

نشيد الأناشيد

الطبعة الأولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

حمار الحكيم

تابع الكتب التي نشرت في اللغة العربية

- الطبعة الأولى .
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)
- سلطان الظلام
- (مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
- من البرج العاجي
- (مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)
- تحت المصباح
الأخضر
- الطبعة الأولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)
- يحيى الياقوت
- الطبعة الأولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
الطبعة الثانية : (المطبعة النموذجية عام ١٩٤٩)
- سليمان الحكيم
- الطبعة الأولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)
- زهرة العمر
- (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤) : رصاصة في القلب
- (مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٤) : الرباط المقدس
- (مطبعة المعارف عام ١٩٤٥) : حمارى قال لى
- (مطبعة التوكل عام ١٩٤٥) : شجرة الحكم

كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في لغة أجنبية

ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج
ليكونت عضو الأكاديمية الفرنسية .
وترجم الى الانجليزية ونشرت مختارات منه في دار
النشر (بيلوت) بلندن ، ثم في دار النشر
(كراون) بنيويورك . في ١٩٤٥

شهر زاد

ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٣٥
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧
وبالانجليزية ونشرت مختارات منه في لندن عام ١٩٤٢

عودة الروح

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور
حافظ عفيفي باشا . (طبعة أولى)
وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية)
وترجم ونشر باللغة العبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر
باللغة الانجليزية في دار (هارفيل) للنشر بلندن
عام ١٩٤٧ . وترجم إلى الاسبانية في مدريد
عام ١٩٤٨

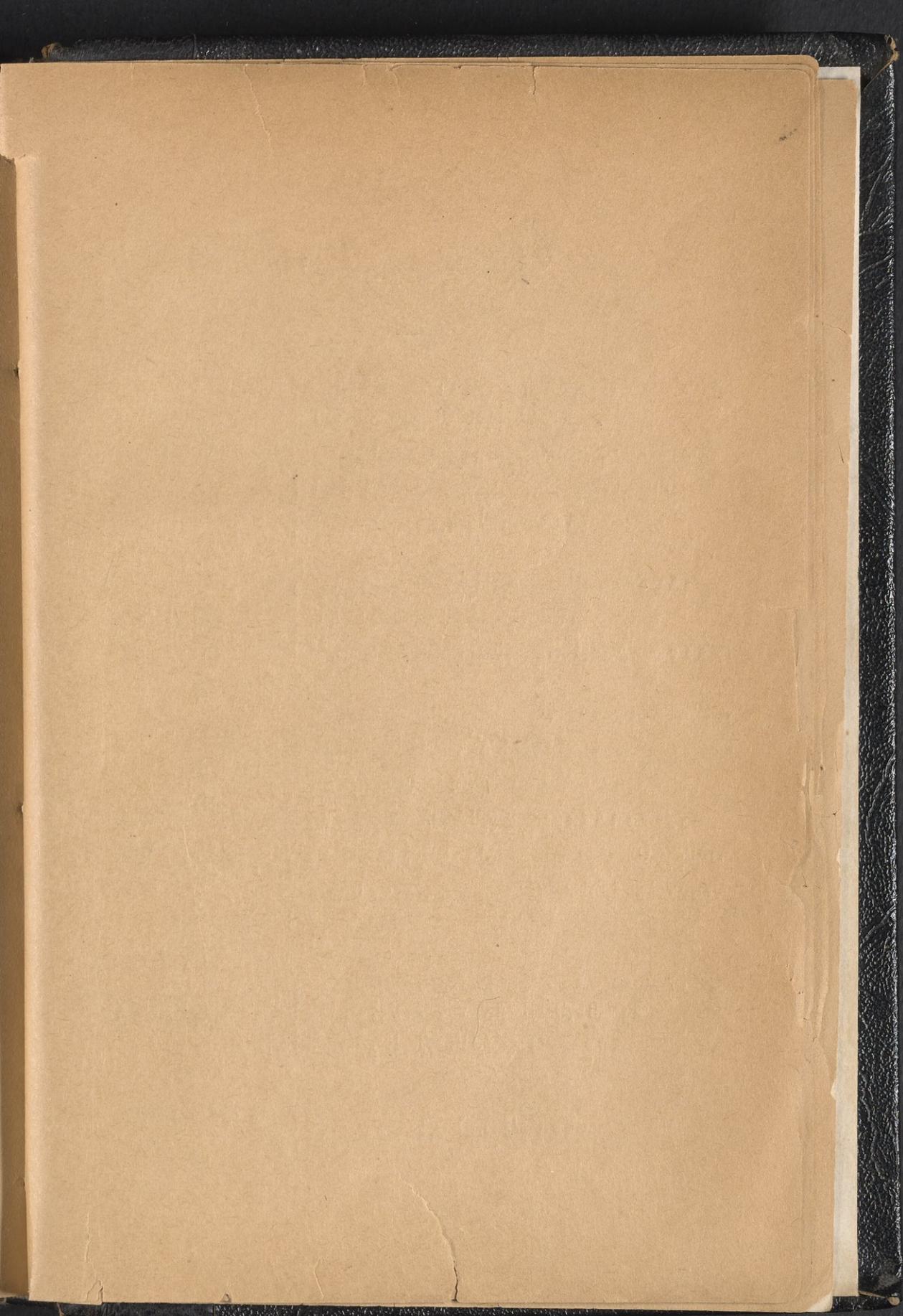
يوميات نائب
في الأرياف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي
لجاستون فييت مدير دار الآثار العربية
ثم ترجم إلى الايطالية بروما عام ١٩٤٥

أهل الكهف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١

عصفور من
الشرق



مقدمة

« الأدب التمثيلي » ، باب لم يفتح في اللغة العربية إلا في العصر الحاضر . . . وقد تردد « الأدب العربي » ، في قبول هذا اللون الغريب عليه . . . فتركه زمناً خارج جدرانها . . . يسمع بأمره من أفواه النظارة ، دون أن يحفل بالالتفات إليه أو الخوض فيه . . . لقد وجد منذ نحو قرن في بعض البلاد العربية كسوريا ولبنان ومصر نوع من المسارح ، يمتزج فيه الجد بالهزل والتمثيل بالغناء . . . وقد نقلت إليه بعض قصص الغرب ، نقلاً تاماً وغير تام . تعرض في ثوبها الأصلي أو في ثوب يناسب الشرق . أحياناً في لغة فصحي ، وأحياناً في لغة تلائم أفهام العامة . . . وكان المنبع الذي يستقى منه المسرح في ذلك الوقت هو الأدب الفرنسي والأدب الانجليزي ، فرأينا البخيل لموليير تعرض بالزجل . ورأينا « روميو وجوليت » لشكسبير تعرض بالألحان . . .

كان مبدأ المسرح العربي في الشرق كما هو معروف « مارون النقاش »
ثم تبعه خلفاؤه « القرداحي وأبو خليل القباني ... الخ. » إلى أن
حمل لواءه « الشيخ سلامة حجازي » .. وولى هو الآخر
وورثه برواياته وألحانه « أسرة عكاشة » ففضوا في خطته .. ولكن
الثورة المصرية وانبثاق الروح القومية دفعتهم إلى الالتفات نحو
تصوير رواياتهم . في ذلك الوقت بدأ كاتب هذه السطور حياته المسرحية
مؤلفاً لتلك الفرقة بعض الروايات على النحو الذي كان العمل عليه
جارياً في تلك الأيام ... كل هذا كان يحدث ، دون أن يطمع
أحد من كتاب المسرح في أن يسمى عمله أدباً .. ودون أن يلتفت
الأدب العربي إلى اعتبار هذا النوع من الكتابة أدباً من قريب
أو بعيد . ودفع (شوقي) بعدئذ برواياته إلى المسرح .. فكان
لها نجاح عند النظارة .. ولكنه لم يفكر هو أيضاً في طبعها قبل
التشيل .. ولم يقدر لها وجوداً جيداً بعيداً عن أنوار المسرح ..
فالقصيدة التي كان يدفع بها إلى الصحف السيارة .. أو إلى المطبعة
ضمن ديوان ، كانت وحدها المعدة في رأيه للدخول ظافرة إلى قصر
الأدب تعنو لها رؤوس الأدباء ... فالحاجز إذن بين عالم المسرح

وعالم الأدب كان من الأمور التي تحير العقول وتحتاج في تفسيرها إلى تعليل .

ورحل كاتب هذه السطور إلى أوروبا في تلك الأثناء . . .
وهناك انكشف له السر المحير ، وما احتاج إلى عناء كبير في
العثور على مفتاح العلة . . . إن عالم المسرح في أوروبا وعالم
الأدب مندجان متداخلان ، لا فاصل بينهما ولا حاجز والسبب
في ذلك واضح هو أن القصة التمثيلية فرع من الأدب ، تدرس
في المعاهد والجامعات على أنها أدب قبل أن يدفع بها إلى المسرح .
فقد ورثت أوروبا هذا الأدب عن الأغريق ، وبجسته ودرسته
وعلى أساسه بنت ونسجت . . . فهو جزء من آدابها القومية .
نشأ وترعرع على مر القرون . مثل أو لم يمثل فهو كائن بذاته ،
شأنه شأن علوم المنطق والرياضة والفلسفة التي انحدرت إليها من
عهد اليونان . لذلك لم يجد كاتب هذه السطور بدأ من أن يبدأ
من البداية وأن يرجع إلى المنبع ، عندما أراد دراسة الأدب
المسرحي . . .

لقد كان يظن الأمر هينا والطريق ميسراً ، يبدأ من حيث

شاء . ويتوفر على هذا الأدب المسرحي الحديث الذي لا يكلف في
درسه عناء ولا يحمل في فهمه مشقة . . . قالوا له هناك : اذا كنت
جاداً فعد إلى الأغر يق ! . . . وعاد الى اشيل وسوفو كل وايرويد
وأرستوفان . . . وهنا أدرك لماذا يحتفل الأدب العربي بالقصيدة
ولا يعترف بالرواية التمثيلية ، حتى وان كانت شعراً . لأن
القصيدة هي ميراثه منذ القدم . كما أن الشعر التمثيلي هو ميراث
الأدب الغربي منذ القدم . . . ما من شيء أقوى من الميراث ! . .
اذا كان للخلود يد فان الميراث يده ، التي ينقل بها الكائنات
من زمان إلى زمان . . . ما طبائع الأفراد وخصائص الشعوب
ومقومات الأمم إلا ميراث صفات وسمات تنحدر من جيل إلى
جيل . وان ما يسمونه العراقة في شعب ليس الا فضائله
المتوارثة من أعماق الحقب ، وان الأصالة في الأشياء
والأحياء هي ذلك الاحتفاظ المتصل بالمزايا الموروثة كبراً عن
كبر وحلقة بعد حلقة . . . هكذا يقال في شعب أو رجل أو
جواد . وكذلك يقال في فن أو علم أو أدب . . . عراقة الأدب
هي طابعه المحفوظ المنحدر إلينا من بعيد . لقد ارادت امريكا

أن تختزل الطريق في فن الموسيقى . . . فابتدعت ذلك النوع من
موسيقى الزنوج المسمى « بالجاز » فأخفقت في حمل العالم المثقف
على تبجيل هذه الموسيقى التي لا أصل لها يوقر ولا نسب يحترم
ولو لم تكن لغتها هي الانجليزية لكان لأدبها أيضاً هذا المصير . . .
ولكن الأدب الأمريكي ما استطاع أن يكون أدباً إلا لارتكازه
على التراث المعترف به من الأدب الانجليزي . فما هو في
حقيقة الأمر الا غصن حديث النبت في دوحة الآداب السكسونية.
الأدب العربي اذن كغيره من الآداب العريقة لا يقبل العبث
بدمه وطابعه ، دون بحث وتمحيص وحذر واحتياط . . . وهو
عندما وقف في القرن الأخير هذا الموقف الحذر من المسرح ،
لم يكن في ذلك ملوماً ولا كان متجنياً . فإن الطريقة التي ظهر
بها المسرح في الشرق العربي لم تكن على اساس يمكن تسويغه في
نظر ذلك الأدب العريق . ولو أنه قام فينا منذ قرن أو قرنين
أديب ينادى متسائلاً :

« أيها الأدب العربي . . . لقد كان بينك من قديم وبين الفكر
الأغريقي وشائج وصلات . لقد نظرت فيه واخذت مما عنده من

علوم وفلسفة ، ولسكنك اشحت بوجهك عما عنده من شعر ...
إلام هذه القطيعة؟ ومتى يتم الصلح بينك وبين الشعر الأخرى؟
أنظر فيه قليلا... واسمح بنقله وبجثه... فر بما وجدت عنده
ما يدعم تراثك وينمي للأجيال القادمة ميراثك! ...

هذا الصوت لم يرتفع في القرون الماضية... وظلت القطيعة
بذلك قائمة بين الأدب العربي والأدب الأخرى... وباستمرار
هذه القطيعة تعذر على المسرح أن يقوم على أساس وطيده...
وأن يجد مكاناً لدينا في أروقة الأدب والفكر والثقافة...

لا بد اذن من الصلح بين الأدبين ، إذا اردنا من الأدب
العربي ان يقر في تاريخه العريق هذا القالب التمثيلي من الشعر أو
النثر إقراراً له قيمة وبقاء... ولسكن... كيف يكون
الصلح؟ ...

لا بد قبل كل شيء من أن نعرف أسباب النفور... لنسعى
بعده في التوفيق ، ونأتي بوسائل الوفاق ...

قبل كل شيء ينبغي لنا أن نتساءل : على من تقع تبعه
الإحجام عن نقل الشعر الأخرى إلى اللغة العربية؟ .. وهذا

السؤال يجرنا إلى البحث في طريقة نقل التراث الأغريقي وموجباته
وموجباته. المعروف أنه عقب فتوح الإسكندر تغلغل الروح اليوناني في
آسيا. وكانت سوريا وما بين البحرين (دجلة والفرات) من أهم المناطق
التي خضعت لنفوذ الحضارة الأغريقية . . . هناك في صوامع نساك
السوريين المنتشرة في تلك البقاع ، نشطت على مدى القرون حركة
ترجمة واسعة للمؤلفات الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية إلى
اللغة السريانية . . من هذه الترجمات السريانية جاء العرب بعدئذ
ونهلوا ونقلوا . . . إذا كان هذا القول صحيحاً فإن على العرب
أن يقولوا إنهم نقلوا ما وجدوا . . . ولم يكن الشعر من بين ما عني
به أولئك الرهبان . . . ولكن الذي حدث هو أن كثيرين من
العرب تعلموا بعد ذلك اليونانية ، واستطاعوا أن ينقلوا عنها
مباشرة . . . وكان مما نقل منها إلى العربية كتاب الشعر أو
« البويطيقا » لأرسطو . . وفيه تعريف بالتراجيديا والكوميديا
وما إليهما من فنون الشعر التمثيلي . . وجاء « ابن رشد » فدلنا
بتعليقاته المشهورة على كتاب « البويطيقا » ان العرب ما أرادوا
عامدين أن يوصدوا الذهن دون العلم بفن الشعر عند الأغريق . . .

كيف إذن لم يدفعهم الفضول بعدئذ إلى نقل بعض ألوان التراجيديا أو السكوميديا إلى العربية؟ .. من المفهوم أن يقعدوا عن نقل شعر غنائى مثل شعر « بندار » أو « أنا كريون » فى الشعر العربى الجاهلى أو العباسى ما يضاهاى ذلك اللون .. ولكن لماذا ، وهم على ما نعرف من حب الأطلاع ، لم يقدموا على ترجمة مآسى شعراء الأغريق ؟ ١٩ . الجواب عن ذلك يقتضى أولاً أن نعرف ما هى « المأساة »؟ وكيف نشأت فى اليونان ؟ .. لم يبق شك اليوم فى أن « التراجيديا » قد نتجت عن عبادة « باكوس » إله الخمر المعروف عند الأغريق باسم « ديونيزوس » . فى كل ربيع كانت تقام لهذا الإله حفلات دينية ، صاحبة بالنشوة ، فياضة بالمرح .. يرقص الناس فيها ويغنون حول تمثال إله الخمر ، وهم متنكرون فى جلود الماعز ، وأوراق الشجر .. وكان هذا الرقص والغناء فى مبدأ الأمر مرتجلاً .. فإذا مر الزمن بعد ذلك يهذب من شأنهما .. وإذا الناس يضعون هذا الرقص وهذا الغناء على أسس من الأعداد والتنسيق ، ويؤدونهما طبقاً لقواعد محدودة الأركان . وما لبث ذلك الغناء أن امتزج به نوع من التنويه بأعمال ذلك الإله

على صورة سرد يلقى ، مشيداً بفتوحاته ومغامراته ورحلاته العجيبة.
ثم تطور الأمر بجوقة الراقصين من الناس إلى أن صاروا ينوعون
في ثياب تنكرهم .. ويمثلون ألواناً أخرى من « الشخصيات » غير
الماعز والحيوانات .. وتطور السرد أيضاً فصار يعنى بأشياء أخرى
لا صلة لها بحياة الاله الذي يحتفلون بأعياده .. حتى ضج الرجعيون
والمحافظون من الشيوخ لهذه البدعة فقالوا : « ما في هذا شيء
لباكوس ! » وصارت هذه الجملة بعد ذلك مثلاً في اللغة اليونانية ..
واسكن من هذه البدعة التي أثارت النقد والغضب خرج الفن
المسرحي . . . فلم يمض قليل حتى ظهر رجل يدعى « تسبليس »
قاده تفكيره إلى أن يؤلف ما ينبغي أن يوضع على لسان الجوقة
المنشدة ، وعلى لسان ممثل واحد يحاور الجوقة وتحاوره .. وجاء
لهذا الممثل أقنعة وملابس مختلفة .. فاستطاع بذلك أن يتقمصه
بمفرده شخصيات عدة ..

على هذا النحو انتقل الأمر من مرحلة السرد الى مرحلة
الحوار والحركة . . . وهنا ولدت التمثيلية ووجدت التراجيديا . . .
وجاء بعد « تسبليس » شاعر يدعى « فرينيكوس » سار خطوة أخرى

بهذا الفن . . . فقد قيل انه أول من أدخل شخصيات النساء في
التمثيل . . . وانه جعل الجوقة تنقسم إلى قسمين ، يستطيع أحدهما
ان يحاور الممثل بلهجة الرضا عن اعماله . . . والآخر بلهجة
السخط والنقد . . . كما لو كانت الجوقة بقسميها الناس في المجتمع ،
يذنبهم المؤيد لما يرى من أعمال وبينهم المعارض . . . ويذكر لنا
التاريخ أيضاً شاعرين معاصرين لذلك الشاعر هما : « كيريلوس »
و « براتيناس » قام كل منهما بنصيب في تحسين هذا اللون من الفن .
اولئك جميعاً كانوا هم الممهدين لظهور أساتذة التراجيديا العظام :
إشيلوس وسوفوكلس وايريويديس ! . . .

تلك إشارة سريعة إلى نشأة الشعر التمثيلي في اليونان . . . منها
بالمخزى أن عبادة « باكوس » هي أم التراجيديا . . . لقد انسكب هذا
متنك الفن لنا اذن كما ينسكب الخمر . . . من دن الدين ! . . . هكذا مضى
شعراء التراجيديا العظام ينسجون آثارهم الخالدة من أساطيرهم
الدينية . . . من « الميثولوجيا » ، ويودعونها روح الصراع بين
الإنسان والقوى الإلهية . . . ترى هذه الصبغة الدينية هي التي صدت
العرب عن اعتناق هذا الفن ؟ ..

هذا رأى جماعة من الباحثين .. فهم يزعمون أن الإسلام هو
الذى حال دون اقتباس هذا الفن الوثني .. إني لست من هذا الرأى ..
فالإسلام لم يكن قط عسيراً على فن من الفنون .. فقد سمح للناقليين
أن يترجموا كثيراً من الآثار التى انتجها الوثنيون .. فهذا كتاب
« كليلة ودمنة » الذى نقله ابن المقفع عن اللغة الفهلوية ... وهذا كتاب
« الشاهنامه للفردوسى » الذى نقله البندارى عن الفرس فى عهدهم
الوثنى .. كما أن الإسلام لم يحل دون ذبوع خمريات أبى نواس ،
ولا دون نحت التماثيل فى قصور الخلفاء .. ولا دون براعة التصوير
فى « المنياتور » الفارسى .. كما أنه لم يحل دون نقل كثير من المؤلفات
اليونانية التى جاء فيها ذكر لتقاليد وثنية .. كلا ليست صفة الوثنية
فى ذاتها هى التى صرفت العرب عن الشعر التمثيلى .. ما الذى
أحجمهم إذن ؟ أتراها صعوبة فهم ذلك القصص الشعرى ، وكله
يدور حول أساطير ، لا سبيل إلى فهمها إلا بشرح طويل ، يذهب
بلذة المتتبع لها ، ويقضى على متعة الراغب فى تذوقها ؟ .. ربما كان فى
هذا التعليل شىء من الصواب ، فلقد أدهشتنى عبارة الناقد « فرانسسك
سارسى » ينصح بها النظارة ، عندما مثلت « اوديب الملك » على

مسرح الكوميدي فرانسيز في عام ١٨٨١ .. وهي المأساة التي
أعتبرها أنا من أقل مآسي اليونان غرقاً في الميثولوجيا الدينية ..
واكثرها وضوحاً ونقاءً .. وأقربها إلى النفس في انسانيته المجردة.
قال الناقد :

« أنصح للنظارة لاسيما النساء منهم أن يفتحوا كتاباً أو معجماً
في الميثولوجيا الأخرية يطالعون فيه قبل مشاهدة تمثيل الرواية ..
ملخص أسطورة أوديب ، فإن هذا يجنبهم سأم التوه والضلال
في ظلمات الفصل الأول . . » هذه النصيحة تساق إلى من ؟ ..
إلى جمهور أمة أقامت ثقافتها على أساس التراث الأخرى ..
جمهور قد عرف أكثره مقاعد الدرس .. حيث لئن ولا شك
فيما لئن آداب اليونان بمآسيها وملاهيها .. إذا كان مثل ذلك
الجمهور في مثل ذلك العصر الحديث لم يزل في حاجة إلى ملخص
أو معجم لمتابعة مأساة (أوديب) .. فإنا بالقارىء العربى
في العهد العباسى أو الفاطمى ؟ ..

لكن .. على الرغم من وجهة هذا التعليل فأنى لا أعتقد أن
هذا أيضاً يحول دون نقل بعض آثار هذا الفن .. فإن كتاب

(الجمهورية) لأفلاطون قد ترجم إلى العربية ، وما أشك أن فيه من الأفكار حول تلك المدينة المثالية ما يشق على العقلية الإسلامية أن تسيغه .. ولكن ذلك لم يمنع من نقله .. بل ان هذه الصعوبة بالذات قد دفعت (الفارابي) إلى أن يتناول (جمهورية) أفلاطون ، فيضفي عليها ثوباً جديداً من خواطره ، ويصنها في قالب عقليته الفلسفية الإسلامية ..

مثل هذا كان يصح أن يحدث للتراجيديا الأغريقية .. كان في الأمكان أن تنقل مأساة مثل (أوديب) ثم يتناولها بعدئذ شاعر أو ناثر ، فيطرح عنها ما يشق فهمه من الأشارات الميثولوجية ، ويجردها مما يخلقها من العقائد الوثنية .. ويبرزها واضحة جلية في بدنها الانساني العاري .. أو يلقي عليها ثوباً شفافاً من العقيدة الإسلامية أو التفكير العربي .

لماذا لم يتم ذلك ؟. لأن هنالك سبباً آخر ولا ريب هو الذي صد العرب عن اقتباس المسرح الأغريقي .. لعل السبب هو أن التراجيديا الأغريقية ما كانت حتى ذلك الحين تعتبر أدباً معداً للقراءة .. إنها لم تكن وقتئذ شيئاً مما يقرأ مستقلاً كما تقرأ جمهورية (أفلاطون)

فقد كانت تكتب لا للمطالعة بل للتمثيل .. وكان المؤلف يعرف أن عمله سيعرض على الناس ممثلاً في مسرح .. فكان يجرّد نصّوصه وحواره من الشروح والملاحظات والمعلومات اللازمة للأحاطة بجو القصة .. اعتماداً منه على أن المشاهد سوف يدركها ببصره قائمة ماثلة عند الأخراج .. وفي الحق لقد بلغ المسرح الأغرّيق حدّاً من الدقّة والتعميد في آلاته وأدواته يثير الدهش .. فكان فيه من الآلات التي تتحرك وتدور حول نفسها ، ومن الحيل والوسائل المسرحية ، ما مكن أولئك القوم من إخراج (بروميثيوس المقيّد) للشاعر إشييل بما فيها من عرائس البحر وهي تخطر خلال السحب (والمحيط) وهو قادم ممتطياً ظهر ذلك الحيوان الخرافي . الذي له رأس نسر وجسم جواد !.

لعل هذا مما جعل المترجم العربي يقف حائراً أمام التراجيديا ! فهو يقلب بصره في نصوص صماء ، يحاول أن يقيمها في ذهنه نابضة متحركة باشخاصها وأجوائها وأمكنتها وأزمستها .. فلا يسعفه ذلك الذهن .. لأنه لم ير لهذا الفن مثيلاً في بلاده .. إن (الجوقة) عند الأغرّيق هي التي خلقت التمثيل .. والممثل (تسييس) هو الذي

خلق التمثيلية .. لم تخلق الرواية المسرح .. ولكن المسرح هو الذي
خلق الرواية !.. وما دام المترجم العربي قد أيقن أنه امام عمل لم
يجعل للقراءة .. فقيم ترجمته إذن ؟.

لعل هذا هو علة الأحجام عن نقل الشعر التمثيلي اليوناني إلى
اللغة العربية .. لقد كانت حركة ترجمة الآثار الأخرى مقصوداً
بها حصول النفع .. لا مجرد حب الاطلاع . أو مجرد الفضول ..
وقد انتفى النفع في هذه الحالة .. لما في التراجم من معان ومرام
لا تبلغ ولا تنال بالمطالعة وحدها .. كان لابد لبرازها من أداة
التمثيل .. وهو شيء غير موجود ولا مألوف .

على أن السؤال الذي يجب أن يلي بعدئذ هو : لماذا لم يوجد
التمثيل في الحضارة العربية ولم يعرف ؟ . لقد كان للعرب هم أيضاً
عهدهم الوثني .. وكان من شعرائهم في ذلك العهد من قيل إنه ذهب
إلى بلاد قيصر .. مثل امرئ القيس .. هناك رأى ولاريب مسارح
الرومان قائمة شاحخة ، وقد ورثوا هذا الفن عن اليونان .. أما
استطاعت رؤية المسرح أن توحى إلى الشاعر العربي الوثني بفكرة
اجتلابه أو نقله أو اقتباسه ؟ ..

نقله إلى أين؟.. هنا المشكلة .. إن الوطن الذي ينقل إليه هذا
الفن ، الشاعر العربي الوثني ، لو أراد ، ليس سري صحراء ، واسعة ،
كالبحر ، تسعى فيها الأبل كالسفن ، هائمة بركبها من جزيرة إلى جزيرة
هي واحات متناثرة ، تتفجر بالماء اليوم وتونع بالنبت ، ليغيض
نبعها في الغد ، وتذبل خضراؤها .. وطن ممتقل على ظهور القوافل
يجرى هنا وهناك خلف قطرة غمام !.. وطن يهتز فوق الأبل في
سيرها الطويل ، اهتزازاً متصلاً منغماً متزاناً ، يغرى الركب بالغناء ..
من هاهنا ولد الشعر العربي : نشأ من الحداء .. عندما رفع الماسك
بزامم الجمل الأول عقيرته منشدأ ، على وقع تلك الموسيقى الخفية
الخافتة ، المنبعثة من وطء أخفاف الجمال على الرمال .

كل شيء إذن في هذا الوطن المتحرك كان يباعد بينه وبين

المسرح .. لأن المسرح يتطلب أول ما يتطلب : الاستقرار .

افتقار العرب إلى عاطفة الاستقرار هو في رأبي السبب الحقيقي
لأغفالهم الشعر التمثيلي الذي يحتاج إلى المسرح .. فإن مسرح
(باكوس) الذي كشفت عن آثاره أعمال الحفر في العصر الحديث
كان بناءً متيناً راسخاً ، ومؤسسة ملكاً للدولة .. ومن يطلع على

ضخامة ذلك البناء في آثاره أو رسومها .. وما كان يتسع له من
آلاف المشاهدين ، يحكم من الفور بأن هذا أمر لا بد له من مدنية
مستقرة ، و حياة اجتماعية موحدة مكتملة .. ولسكن .. أما من حق
باحث أن يعترض قائلاً : لقد عرف العرب في الدولة الأموية والدولة
العباسية وما بعدهما تلك المدنية المستقرة وذلك المجتمع الموحد
المتكامل . فما بال العرب في تلك العهود انصرفوا عن تشييد المسرح
وهم على ذلك قادرون ، بينما رأيناهم يملكون بالحضارات المختلفة ،
فيقتبسون من فن عمارتها ، ما أقاموا به فناً للعمارة رائعاً يحمل
طابعهم الجديد؟! .. الجواب عن ذلك بسيط : هو أن العرب في
الدولة الأموية وما بعدها ظلوا يعتبرون شعر البداوة والصحراء
مثلهم الأعلى الذي يحتذى ، وينظرون إلى الشعر الجاهلي نظرهم
إلى النموذج الأكل الذي يتبع .. فهم قد أحسوا فقرهم في العمارة ،
ولم يحسوا قط فقرهم في الشعر .. وهم عندما أرادوا أن ينقلوا عن
غيرهم وينهلوا ذهبوا كل مذهب ، ونظروا في كل فن .. إلا فن الشعر
الذي اعتقدوا أنهم بلغوا فيه الغاية منذ القدم .. وهكذا نرى أنفسنا

أمام دائرة مفرغة تدور بأسباب تحول كلها دون اقتراب العرب
من التمثيل ..

لكن .. أكان من الضروري للأدب العربي أن توجد فيه
(التراجيديا) ؟.. وهل كانت (التراجيديا) لونا لازماً لتطور
الأدب العربي واكتمال شخصيته ؟!.. من يطلع على مقدمة
(كرومويل) المشهورة لفكتور هوغو يجد بعض الجواب : إنه
يقسم تاريخ البشرية إلى ثلاثة عهود : العهد الفطري وهو في رأيه
عهد الشعر الغنائى .. وعنه يقول : فى العهود الفطرية ينشد الانسان
كأنه يتنفس .. فهو فى عهد فتوته .. صдах بالغناء .. الخ .. ثم يأتى
العهد القديم وهو عهد الملحمة .. فقد تطورت القبيلة وصارت أمة ..
وحلت غريزة المجتمع محل غريزة التنقل .. تكونت الأمم وعظم
شأنها ، واحتك بعضها ببعض ، وتصادمت فتحاربت .. هنا الشعر
ينهض ليروى ما وقع من أحداث ، ويقص ما جرى للشعوب
وما حل بالامبراطوريات !.. وأخيراً يأتى العهد الحديث وهو
عهد التمثيلية .. وهى فى نظره (الشعر الكامل) لأنها تحوى فى جوفها
كل الأنواع .. فيها بعض من الغناء وبعض من الملاحم .. ولنصغ

إليه وهو يلخص فكرته بقوله : « إن المجتمع البشرى يدرج ويشب
متغنيا بأحلامه ، ثم يأخذ بعدئذ في سرد أعماله ، ثم يعمد آخر
الأمر إلى تصوير أفكاره !. » ويدعونا هوجو إلى امتحان مذهبه في
كل أدب من الآداب على حدة ، مؤكدا لنا أننا واجدون فيها كلها
مصدقا لهذا التقسيم .. فشعراء الغناء عنده يسبقون دائما شعراء
الملاحم ، وشعراء الملاحم ، يسبقون شعراء التمثيل ..
أترى هذا المذهب صالحا للتطبيق على الأدب العربي ؟ .. في
رأي أنه يصلح لو تغاضينا عن (القوالب) ، واقتصرنا في بحثنا على
(الأغراض) .. ما من شك في أن الشعر العربي قد تغنى بالأحلام
ووصف الحروب ، وصور الأفكار .. دون أن يغير في طريقته أو
يخرج عن قلبه أو ينحرف عن أوضاعه .. وسلك في هذا السبيل
عين الترتيب الذي أورده هوجو .. ففي العصر العباسي وحده ، نجد
البيحتري قبل المتنبي ، والمتنبي قبل أبي العلاء .. ولو غرس هؤلاء
الشعراء في أرض اليونان .. لكان البيحتري (صناجة العرب) هو
(بندار) .. ولكان المتنبي الذي دوى في آذاننا على مدى الأجيال
بصليل السيوف هو (هومير) .. ولكان أبو العلاء الذي صور لنا

التفكير في الانسان ومصيره والملا الأعلى هو (إشيل) ١. فالتطور
اذن من حيث (الموضوع) قد تم . ولكن التطور من حيث
(الشكل) حالت دون اتمامه تلك الظروف التي لا بست نشأة الدولة
العربية .. ظروف ، كما رأينا ، لا تنافي عقلية العرب ، ولا تعارض
طبيعتهم الفنية .. ولكنها استطاعت على كل حال ، في تلك المرحلة
من تاريخهم أن تقصدهم ، على رغمهم ، عن هذا الفن من فنون الأدب .
ليست هنالك اذن خصومة أصيلة بين اللغة العربية والأدب
التمثيلي .. إنما هو نوع من التباعد المؤقت ، مرجعه الافتقار إلى
الأداة .. شأن العرب هنا شأنهم يوم كانوا لا يعرفون من المطايا
غير الأبل .. لو أن الظروف شاءت أن تحرمهم الجواد ، لظلوا حتى
الساعة لا يعرفون ركوبه .. ولكن ما إن دخل الجواد الصحراء ،
حتى غدا العرب فرسانه .. حذقوا فنون تربيته ، وفنون الحديث
عنه .. فإذا سئل اليوم عن الجواد الأصيل ، في أرجاء العالم ، قيل
هو الجواد العربي . وإذا أريد وصف رائع لحصان الخيل ، فلن
يوجد إلا في الشعر العربي ..

كل الأمر إذن في (الأداة) .. وكما أن العرب في عهد الأبل

كان لسان حالهم يقول : (اعطونا الجواد ونحن نركب !) فانهم
كذلك قد يقولون : (اعطونا المسرح ونحن نكتب ! ..)
وما من ريب في أن العالم اليوم قد تغير .. وأصبح المسرح
(بمعناه الواسع) ضرورة من ضرورات الحياة الحاضرة .. ليس
وقفاً على طبقة دون طبقة .. فهو الغذاء اليومي لأذهان الناس ،
يختلف دسمة باختلاف ثقافتهم .. ولكنه في آخر الأمر هو أداة
الفن الشائعة في مشارق الأرض ومغاربها .. واعنى بالمسرح هنا
كل فن يرمى إلى تصوير الأشياء والأشخاص والأفكار على خشبة
أو شاشة أو موجة أو صفحة .. بأن يقيمها حية تتحدث وتتجاوز
وتبرز مكنون سرها وفكرها أمام الناظر أو السامع أو القارئ ..
هذا الأسلوب العالمي في عرض الأفكار عرضاً حياً في صورة
(تمثيل) لم يعد إلى تجاهله من سبيل .. وحيثما ذهبنا اليوم في بلاد
(الضاد) وجدنا دوراً شاهقة سامقة مزخرقة هي أنخم دور مدننا
بناء : تلك هي (المسارح) .

وجد لدينا (المسرح) إذن أى الأداة .. واصبح في حياتنا
العربية من حاجاتنا الضرورية ، كالخبز والماء .. وفي كل يوم تتسع

رقعة العمل أمام هذه (الأداة) التي تسمى (التمثيل) . حتى أمست
بعد انتشار (الأذاعة) غذاء يومياً يدخل كل بيت .. كل هذا
كان يجب أن يبلغ أسماع الأدب العربي العريق .. وأن يحمله
على الالتفات إلى هذا الفن ، وقرار أسسه بين مناهجه وأبوابه ..
وأغلب ظني أن الأدب العربي تَوَّاق إلى ذلك .. فما هو بالأدب
الميت ولا بالأدب الجامد .. ولكن ما الوسيلة ؟ .. إنه لا يستطيع
أيضاً أن يفتح في هيكله النبيل باباً ، ويقر فيه فناً ، على غير دعائم .
فما هو بالأدب العايب ولا بالأدب الدخيل .. أولئك الذين
حافظوا على الأنساب في الأدميين والجياد ، لا ينبغي أن نفجعهم في
عراقة أدبهم في زمن أخير من الأزمان .. لا بد إذن من إيجاد حلقة
نسب مفقودة نرجع إليها ، لنحكم رباط الأدب العربي بالفن التمثيلي .
هذه الحلقة لا يمكن أن تكون سوى : الأدب الأغرقي .

لهذا كله يتحتم الصلح بين الأدبين العريقين ..

وهنا نقرب من المسألة الكبرى : ما هي طريقه الصلح ؟ . أيكفي
لها العكوف بعناية واحتفال على الأدب التمثيلي اليوناني ننقله كله
إلى لغتنا العربية ؟ . هذا أمر لا بد منه بالبداية .. ولقد تم من

ذلك شيء كثير .. بل كلنا شاهد على المسرح العربي الإلادب العربي لسوفوكل تمثل منذ أكثر من ثلث قرن .
على أن مجرد نقل الإادب التمثيلي الأغرريقي إلى اللغة العربية لا يوصلنا إلى اقرار أدب تمثيلي عربي .. كما أن مجرد نقل الفلسفة الأغرريقية ، ما كان يوصل إلى إيجاد الفلسفة العربية أو الآلامية .
ما الترجمة إلا آلة يجب أن تحملنا إلى غاية أبعء .
هذه الغاية هي الأغرراف من المنبع ثم اساعته وهضمه وتمثله .
لنخرجه للناس مرة أخرى مصبوغاً بلون تفكيرنا ، مطبوعاً بطابع عقائءنا . . . هكذا فعل فلاسفة العرب ، عندما تناولوا آثار أفلاطون وارسطو . . .

كذلك يجب أن نفعل في (التراجيءيا) اليونانية .. تتوفر
على دراستها بصبر وجلء .. ثم ننظر إليها بعءء بعيون عربية ..
وخلفنا طريق مماثل قء سلك في تاريخ الآءاب الفرنسية ..
فقد عاء شعراء المآسى فيها إلى الآثار اليونانية القءيمة ، إلى آثار اشيل وسوفوكل وايروبيء ، فاغرءفوا منها ونقلوا ، ءون أن يغيروا في الموضوع أو الأشءخاص أو الحواءء ، ولسكنهم اسبعوا على تلك الآثار كل روحهم الفرنسية ..

رقعة العمل أو وسيلة الصلح بل عملية التزاوج ، بين روحيين وأديبين ...
بعد انقضاء التزاوج الذي حدث بين الفلسفة اليونانية والفكر العربي .
بعد التزاوج الذي تم بين الأدب الفرنسي والأدب اليوناني ..
مثل هذا التزاوج يجب أن يحدث نظيره بين الأدب اليوناني والأدب
العربي ، فيما يتعلق بالتراجيديا... إذا تم ذلك على أي نحو من الأنحاء
بالشعر أو بالنثر .. فما إخال الأدب العربي إلا معترفا بهذا الباب
الجديد القديم .. متغاضياً عن الزمن الذي حدث ذلك فيه ... فما
الزمن في تاريخ الأدب الطويل بنى بال ، مادامت الحلقات فيه
وثيقة الاتصال ، منطقية الارتباط ، معقولة الخطوات ..

ولقد كان من رأي دائماً أن الأدب العربي الحديث ليس إلا استمراراً
لحركة التجديد التي قام بها الجاحظ في القرن الثالث الهجري ، على
الرغم من انتكاسه أحياناً ووقوعه في الانحطاط والتقليد في فترات
تخللت هذا الزمن الطويل ، وعلى الرغم مما قيل عن تأثيره الأعمى
بالأدب الغربي في العهد الأخير . فهذا التأثير الذي لاحظته بعض
السطحيين من المستشرقين ما تعدى الشكل والمظهر واللباس . وهو
أمر طبيعي في تاريخ آداب كل الأمم . فان الرداء الخارجي ملك
مشاع للحضارة القائمة في أي عصر من العصور . ولكن الاختلاف

يكون في الجوهر والطابع والأحاساس . وما فقد الأدب العربي
قط روحه وتفكيره واحساسه على مدى الأحقاب ، سواء وقف
أو سار، حمد أو تطور .

هكذا دفعت دفعا إلى دراسة الأدب التمثيلي عند اليونان ..
ما نظرت فيه نظرة باحث فرنسي أو أوروبي بل نظرة باحث
عربي شرقي .. والنظرتان مختلفتان جداً ، كما اتضح لي فيما بعد ..
فإنه على الرغم من ملابسي الأوروبية التي كنت أذهب بها الى
(الكوميدي فرانسيز) أشاهد (أوديب) لسوفوكل يمثلها (ألبير
لامبير) .. وعلى الرغم من ذلك الروح الفرنسي الذي كان يشع من
مآسى (كورني) و (راسين) .. فإن شيئاً في أعماق نفسي كان
يدنيني من روح التراجيديا كما أحسها الأغريق .. وما هي روح
التراجيديا عند الأغريق ؟ .. هي انها تنبع من (شعور ديني) ..
كل جوهر التراجيديا هو انها صراع ظاهر أو خفي بين الانسان
والقوى الالهية المسيطرة على الكون .. صراع الانسان مع شيء
أكثر من الانسان .. وفوق الانسان .. أساس التراجيديا
الحقيقية في نظري هو احساس الانسان انه ليس وحده في الكون
وهذا ما أعنيه بعبارة (الشعور الديني) .. مهما يكن (شكل)
التمثيلية واطارها واسلوبها والأثر الذي تحدثه في النفس فان هذا

كله لايسوغ ، في رأيي ، وصفها بالتراجيديا ، ما دامت لا تقوم على
هذا (الشعور الديني) هذا العنصر الألهي في روح
التراجيديا لم يحتفظ بجرارته وتألقة على مدى العصور ،
فمنذ العصر اللاتيني نجد الشعراء يتناولون بالتقليد الدقيق التراجيديا
الأغريقية في كل مظاهرها الخارجية ، دون أن يحتفظوا كثيراً
بالجوهر ، وجاء عصر النهضة فأوغل في هذا السبيل ولم يعد الشعراء
يفرقون بين المأساة والبشاعة ، فكلماً كدسوا الرعب وكتلوا الهول
حسبوا أنهم يصنعون مأساة تضارع المأسى اليونانية ، حتى اتى القرن
السابع عشر فإذا نحن أمام التراجيديا وقد امتست صراعاً بين
الإنسان ونفسه ، فهي مع (كورنى) قائمة على حوادث التاريخ ،
ولنصغ إلى العلامة برونتيير وهو يقول مجبذاً : (أو ليس التاريخ
هو مشهد صراع بين ارادة وارادة ، إنه لمن الطبيعي أن يغدو
التاريخ ملهماً لمسرح يقوم بأكمله على الأيمان بسلطان الأرادة)
أما مع (راسين) فقد أصبحت التراجيديا صراعاً بين عاطفة
وعاطفة ، وإذا (الحب) مع ما يتبعه من غيرة وحسد وحقود وبغضاء
هو المجال الذى يتحرك فيه شعوره وتفكيره ، وكلاهما فضلاً عن
ذلك غلف مأسية بالروح الفرنسى ، فالشاعر كورنى (فرانس)

التاريخ) ، إلى حد جعل (نابليون) فيما بعد يفضل على جميع الشعراء
فقد كان يقول عنه : « هذا الرجل قد استشف معنى السياسة » ! .
ولو أنه كون تكوينا عملياً لكان رجل دولة ، إن حكم الدولة قد
حل عند الشعراء المحدثين محل حكم القدر عند الأقدمين ! ، وإن
(كورنى) هو الوحيد من بين الشعراء الفرنسيين الذى احس هذه
الحقيقة ! « ويبدو أن إعجاب نابليون بهذه النزعة عند كورنى حمله
على التنوية بها كثيراً وعلى إظهار الأسف أن كورنى لم يعيش
فى عهده ، وإلا كما قال : « كنت جعلته أميراً ، بل كنت عميلته وزيراً
أول ! » ولم يجد نابليون ما يفعله من أجل كورنى هذا إلا أن يبحث
عن أحفاده ، فما وجد منهم غير امرأتين ، أمر بأن يجرى عليهما
معاش سنوى قدره ثلاثمائة من الفرنكات ! ..

فى هذا العصر بالذات لم يسكن من الميسور فيما يبدو ان يتذوق
الشعب المأسى الأخرى قية على وضعها الصحيح ، ولا أن ينفذ حتى
خاصتهم إلى روحها ، فقد تمنى نابليون أن يرى (اوديب) سوفوكل
ممثلة على المسرح ، فوجد معارضة شديدة من ممثل فرنسا الأول فى
ذلك العصر (تالما) العظيم ! ، ولسكن نابليون شرح وجهة نظره قائلاً :

وإني ما أردت بهذه الرغبة أن اصحح وضعنا المسرحي الحديث ،
ولا أن أدخل عليه بدعة من البدع ، ولكنني أردت أن أشاهد
الأثر الذي يمكن أن يحدثه الفن القديم ، في مشاعرنا وظروفنا
الحديثة ! ، وإني لموقن أن تنفيذ ذلك الأمر كفيلاً أن يبعث
في النفس سروراً ، وإن كنت اتساءل مع ذلك عن الموقع الذي
تقع به من أذواقنا مشاهد الجوقة والمنشدين على الوضع الذي
عرفه الأغر يق ؟ . !

ذلك ما كان من أمر كورني . أما ما كان من أمر راسين
فأنه مازاد على أن صور الحالة النفسية لعصره ، عارضاً إياها على
المسرح ، في ذلك الإطار الذي أطلق عليه اسم (التراجيدي) ...
تبدد إذن على مر العصور ، وتبخر في رياح الزمن ذلك
(الشعور الديني) الذي جعل من المأساة الأولى صراعاً بين الإنسان
وبين ما هو أكثر من الإنسان ... لعل هذا من بوادر النهضة العلمية
في ذلك القرن .

مهما يكن من أمر الباعث ، فإن الشعراء والناس قد تغير

إيمانهم ، فأمسوا يعتقدون أن لاشيء غير الإنسان، في هذا الكون،
بدولته وحكومته وساسته وسلطته ! .

بأنظفاء هذا الشعور الديني لا أمل في رأي لقيام التراجيديا .
ولعل هذا هو السبب في موت التراجيديا في عصرنا الحاضر ، مامن
شاعر واحد في العالم اليوم استطاع أن يؤلف (تراجيديا) واحدة
لها قيمة وبقاء إلى جانب ما سلف من المآسي ، ذلك أنه مامن مفكر اليوم
في العالم الغربي يؤمن حقاً بوجود إله آخر غير الإنسان نفسه ! .
لقد كان آخر العهود بالتراجيديا ، كما يجب أن تفهم ، هو القرن
السابع عشر ، فإنه على الرغم مما ذكرنا عن (كورني) و (راسين) فقد
كانت لهما على الأقل من الأيمان الديني بقية ، هي التي استطاعت أن تلقى
في أعمالهم تلك الججرة من الحرارة العلوية ، وإن صلة راسين بطائفة
(الجانسنست) الدينية ، والشروح التي فسر بها النقاد بعض مآسيه
وخصوصاً (فيدر) على ضوء تعاليم تلك الطائفة ، لمن الأمور التي
أفاض فيها تاريخ الأدب .

وما من حاجة فيما أظن إلى الحديث عن مآسي (فولتير) . .
فهذا الساخر المتشكك ما كان في قلبه إيمان بغير عقله ، وما كان

يرتد بنظره إلى الأغر يق بقدر ما كان ينظر إلى (شكسبير) . . .
ان فولتير ليس إلا الممهد للعقلية الفنية الحديثة ، والنموذج الأول
للفكر الغربي والمؤلف الأوروبي في وضعه الحالي .

في هذا الجو ، من القرن الحاضر ، الخابي من سمائه ذلك الشعور
الديني بمعناه الغابر ، كنت أقرأ وأشاهد «التراجيديا» ، وأدرك بحاسة
خفية جوهرها الحقيقي ! . ما السر؟ . مامن سر عجيب على الإطلاق.
كل ما في الأمر أني شرقي عربي . لم أزل محتفظاً بقدر من أحاسي
الديني الأول ، لم أجتز ما اجتازته العقلية الأوروبية من تلك الفترات
التي سبق ذكرها ، موقفي أمام «التراجيديا» الأغر يقية موقف مفكر
عربي في القرن الثالث الهجري . بهذا الاحساس عدت إلى مصر ،
ولم يمض قليل حتى كتبت قصة « أهل الكهف » ، كان ذلك في عام
١٩٢٨ ، وكان « جوق » عكاشة قد اختفى نهائياً من الوجود ، فلم يقيم
في ذهني خيال مسرح بعينه ولا يمثل بالذات ، ولم أجد ما أبشه عملي
غير الورق ، وعندما يعوز الكاتب مسرحاً ينهض عليه أفكاره ،
فإنه يقيم في الحال مسرحه بين دفتي كتاب ، كان الذي قصده من
وضع « أهل الكهف » هو ادخال عنصر « التراجيديا » في موضوع

عربي إسلامي، «التراجيديا» بمعناها الأخرى القديم الذي احتفظت به:
الصراع بين الإنسان وبين قوى خفية هي فوق الإنسان، وحرصت
على أن يكون منبغى لا أساطير اليونان بل «القرآن»، فان المقصود
عندي لم يكن مجرد أخذ قصة من الكتاب الكريم ووضعها في
قالب تمثيلي، بل كان الهدف هو النظر إلى أساطيرنا الإسلامية
بعين «التراجيديا» الأخرى، هو أحداث هذا «التزاوج» بين
العقليتين والأدبين، ولم أشأ أن أصدر هذا العمل عند نشره بمقدمة
حتى لا أكون أنا الموجه لتفكير القارئ واللافت لنظر الغير،
فقد كان الذي يعنيني هو أن أرى كيف يقع هذا العمل من نفوس
قارئه بعيداً عن أي توجيه أو إحاء. ومهما يكن من أمر التفسيرات
التي تناولت ذلك الكتاب، فان الذي استقر في ضمائر أهل الأدب
يومئذ هو أن شيئاً ما على أساس ما قد وضع. ولم يشذ أحد من
الأدباء عن اعتبار هذا العمل لونا من الأدب العربي، مثل أولم يمثل.
بهذا تحقق ذلك الغرض الذي أشرت إليه في مطلع هذه المقدمة،
وهو أن الأدب العربي استطاع أن يقبل هذا «الأدب التمثيلي»
منفصلاً عن المسرح. وهي نتيجة عجيبة. فقد كان لشوقي، كما اسلفت

روايات يعرفها المسرح أولاً قبل أن يعرفها الأدب في كتاب يقرأ
على أن من الميسور أن يلاحظ باحث أن شوقي في رواياته التمثيلية
لا صلة له على الإطلاق بالأغريق. فهو يمضى فيها على نهج شعراء
المآسى الفرنسيين، ناسجاً موضوعاتها هو أيضاً حول «التاريخ»،
و «الحب»، كما في «مصرع كليو باترا»، و «مجنون ليلي»، ولا جدال
في أن الصراع بين عاطفة وعاطفة أو بين إرادة وإرادة لمن أيسر
أنواع الصراع إخراجاً أمام النظارة.. من ذلك تتبين الصعوبة في أن نبرز
روايات يدور فيها الصراع بين فكرة وفكرة على مسرح آخر غير
مسرح الذهن، ولكن هذا المسرح الذهني لا بد منه، ما دامت
هناك موضوعات لا محيص من أبرازها، تقوم على أفكار مجردة،
وأشخاص غير مجسدة، فالصراع بين الإنسان وبين القوى الخفية
التي هي أكثر من الإنسان: مثل «الزمن» أو «الحقيقة» أو
«المكان»، الخ، لا يمكن تجسيده حتى يلائم المسرح المادى، إلا إذا
لجأنا إلى طريقة التجسيد الوثنية التي لجأ إليها «اشيل» مثلاً عندما
جعل «القوة» و «العنف» و «البحر» أشخاصاً قائمة بتكلم، وهو
أمر لا أظن العقلية العربية الإسلامية تسيغه، وهي التي جردت

(الله) من كل تجسيد ، وأجبرت ذهنها على قبوله متمثلاً في
« الفكرة » وحدها عارية منزهة عن كل غلاف كثيف خارجي .

على أن « إشييل » نفسه ، على الرغم من تجسيده للقوى الخفية ،
قد حشره النقاد في زمرة المؤلفين الذين يقرأون في مقعد خيراً
بما يعرضون على مسرح . وتلك مسألة قد أثيرت فيما يتعلق بشكسبير
أيضاً . وهو إغراق في التعنت فيما أعتقد . فلقد قرأت لناقد يدعى
« بولنجيه » بحثاً فيما يسميه « المسرح في مقعد » أعرب فيه عن
دهشته لما في روايات شكسبير من روح الكتاب ، أكثر مما فيها
من روح المسرح ! . كان من هذا الرأي الغريب أيضاً « زيمي دي
جرمون » الذي قال : « ما من رواية لشكسبير إلا وخيت ظني
عند التمثيل ! . » أمام هذه الآراء قام الناقد « تيموديه » يقسم المؤلفين
المسرحيين إلى فئتين : فئة تتخذ الحياة الانسانية في ذاتها موضوع
حركتها ونشاطها . وفئة تجعل من تلك الحياة نغمة فكرية تلعب
بها . فئة تصور حركة الأدميين في الحياة ، وفئة تصور تفكير الأدميين
في الحياة . والفئة الأولى في رأيه هي التي يسهل عرضها على المسرح
« المادي » وهو يدخل فيها شكسبير على الرغم من أنغامه الفكرية

في بعض رواياته . أما من الأغريق فهو يدخل فيها سوفوكل وايريونيد
بينما الفئة الثانية يدخل فيها « اشيل » . نخرج من كل هذا على أن
موضوع المسرحية هو الذي يحدد دائماً نوع المسرح . فإذا قامت
الرواية على حركة الأدميين كان مكانها المسرح المادى ، وإذا قامت
على حركة الفكر كان مكانها المسرح الذهني .

وهنا يبدو سؤال : أليس من الممكن أن نعرض على المسرح
« المادى » أمام النظارة ، تراجيديا اغريقية ، مدثرة في غلالة « من
العقلية العربية » يبدو فيها الصراع بين الانسان والقوى العليا الخفية
دون أن يتجرد الفكر فيها إلى حد يلحقها بالنوع الذهني من
المسرحيات ؟ .

للإجابة عن هذا السؤال عكفت وقتاً ليس بالقصير على دراسة
« سوفوكل » وانتهيت إلى انتخاب « أوديب » موضوعاً لاختباري .
لماذا أوديب بالذات ؟ . الأمر قد يبدو عجيباً . ذلك انى قد
تأملتها طويلاً فأبصرت فيها شيئاً لم يخطر قط على بال « سوفوكل »
أبصرت فيها صراعاً لا فقط بين الإنسان والقدر كما رأى الأغريق
ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا . . بل أبصرت عين الصراع الخفي
الذي قام في مسرحية « أهل الكهف » ! . هذا الصراع لم يكن فقط

بين الانسان والزمن كما اعتاد قراؤها أن يروا . بل هي حرب أخرى خفية قل من التفت إليها . حرب بين « الواقع » وبين « الحقيقة » بين « واقع » رجل مثل مشلينيا عاد من الكهف فوجد « پريسكا » فأحبها وأحبته . وكان كل شيء مهياً يدعوها إلى حياة من الرغد والهناء . فإذا حائل يقف بينهما وبين هذا « الواقع » الجميل . . تلك هي « الحقيقة » ؟ حقيقة هذا الرجل مشلينيا الذي اتضح لپريسكا أنه كان خطيباً لجدتها ! لقد جاهد المحبان كي ينسيما هذه (الحقيقة) التي قامت تفسد عليهما (الواقع) ! . ولكنهما عجزا بواقعهما الملهوس عن دفع هذا الشيء الغامض غير الملهوس ، الذي يسمى « الحقيقة » ، « أوديب » و « جوكاستا » ليسا هما أيضا سوى « مشلينيا » و « پريسكا » . لقد تحاباهما أيضاً ، فأفسدما بينهما عليهما بحقيقة أحدهما بالنسبة إلى الآخر ! . إن أقوى خصم للإنسان دائماً هو : شبح ! . شبح يطلق عليه اسم (الحقيقة) ، هذا هو باعثي على اختيار (أوديب) بالذات . لي فيها نظرتي وفكرتي ، ولكن بقي التنفيذ ، على أي وجه من الوجوه أتناول هذه (التراجيديا) ! . هنا وقعت في الحيرة زمناً ، فأنا أعرف الجهد الذي أمضت من سبقني في تناولها من الشعراء والمؤلفين ، على مدى القرون . فإذا تذكرت قصور (سنيكا) في (أوديب) واخفاق (كورني) في (أوديب) وضالة (فولتير) بالقياس إلى سوفوكل في (أوديب) ، أصابني دوار ، فإذا تركت أولئك العباقر من الشعراء

والتفت إلى من تناول (أوديب) من الناثرين المعاصرين ، وما
تعرضوا له من خيبة أو سقوط ، نالني جزع ، فقعدت حيناً يائساً
متكاسلاً مؤجلاً إنجاز هذا العمل ، حتى نهضت أخيراً اشجع
نفسى وأقول: فلأعمل وأخطئ خيراً من أن اجزع واقعد، ولتكن لي
في أولئك المخفقين اسوة ، فلأخفق مثلهم ، فهم على كل حال قد
أدوا واجبههم ، وإن لهم الحمد مع ذلك لأنهم تشجعوا وأقدموا
وأخطأوا ، واستطعت انا الانتفاع من أخطائهم ، لأتجنبها وأولى
وجهي شطر ناحية أخرى ، ربما كان فيها أيضاً نوع آخر من الخطأ.
فليكن . . . إن أخطاء الفنانين والأدباء لها أحيانا من الفائدة
ما يسمو على الصواب . .

عرفت من الشعراء الأحياء من تناولوا (أوديب) الشاعر الانجائزى
(ييتس) والشاعر الألماني (هوفا نستال) . والأثنان ما زاد اشدأعلى
مأساة (سوفوكلس) ثم عرفت من الناثرين ثلاثة من الفرنسيين المعاصرين
تناولوا كلهم (أوديب) عن سوفوكل ، أولهم (سان جورج دى
بوهلييه) والثانى (جان كوكتو) والثالث (اندريه جيد) .
أما (دى بوهلييه) فقد قطع قصة (أوديب) ووزعها على مناظر

عديدة ، ناهجاً في ذلك منهج شكسبير في مسرحياته ، فما إن
عرضت على المسرح حتى قال فيها الناقد (لوسيان دوبيش) : .
« بينما نجد عند سوفوكل أن أوديب مشغول بالحادثة التي
يحركها ويعيش فيها ، فلا وقت عنده للتأمل في مصيره ، نجد (دى
بوهيليه) يتركه وحده طويلاً يناجى شكوكه وندمه ويقظة ضميره مثل
(هاملت) أو (ليدى مكبث) ، من العبث أن نذكر (دى بوهيليه)
أن لا شيء يفوق في مأساة سوفوكل الخالدة تلك القوة الدرامية
الكبرى المنبعثة من ذلك التكتيل للحركة والتكديس للحوادث
في تلك الوحدة الوثيقة والحيز الضيق . الخ »

لقد انتفعت حقاً بهذا الخطأ ، فقد كان خطراً لي أنا أيضاً أن
أضع قصة (أوديب) في مناظر عدة كما فعلت في (شهر زاد) وفي
(سليمان الحكيم) ، فوقاني الله شر هذا العمل ، برؤيتي التجربة
تحقق على يد (دى بوهيليه) ، ! أما (جان كوكتو) فقد وضع
(أوديب) في مسرحية متعددة المناظر أيضاً ، سماها (الآلة
الجهنمية) وعرضها على المسرح ، ولم أشاهدها تمثل ولم أقرأ لها نقداً
ولكني أدركت من قراءتها مطبوعة في كتاب أن (كوكتو) تأثر

بالنظرية الأخرى قيمة في أوديب تأثر أسطورياً . ولكنه تأثر بشكسبير
هو الآخر تأثر أفنياً ، فجعل روح والد أوديب تظهر على الجدران كما ظهرت
روح والد (هملت) اعجب الكل هذا التأثر في (أوديب) بطريقة شكسبير
دون التأثر بطريقة سوفوكل ، وهو قمة الفن التراجيدي المركز بلا مراء .
ويأتي بعد ذلك اندريه جيد بقصته (أوديب) وقد نحافها نحو
(سوفوكل) ولكنه جعلنا نشعر نحو (أوديب) بجلال لا ينبعث
من صلة الإنسان بما هو أكثر من الإنسان بقدر ما ينبعث من صلة
الإنسان بذاته ، لقد استطاع اندريه جيد أن يجعل من إيمانه بالإنسان
مادة خشوع ، تحل في النفس محل ذلك الخشوع للقوى الخفية
العليا ! ، إنه يلخص لنا بصدق وإخلاص كل عقيدة الأوروبي اليوم
أن لا شيء في السكون غير الإنسان . ولا قيمة في السكون لغير
الإنسان ، وليس اندريه جيد وحده هو المسئول عن هذه العقيدة
فهي موجودة قبله بنحو قرن من الزمان منذ رأى (بالانش) في
شخصية (بروميثيوس) لأشيل : (الإنسان يكون نفسه بنفسه) .
بل لقد رأى (إدوار شوريه) في أوديب ما رآه (اندريه جيد)
فقد قال (شوريه) في كتابه (التطور الألهي من أبي الهول إلى المسيح) .

الصادر في عام ١٩١٢ ما نصه : (أوديب ليس ملهماً ، ولا متطوعاً إلى الأسرار ، إنه الإنسان القوي المتكبر ، الذي يلقي بنفسه في خضم الحياة بكل ما في رغباته من نشاط ، ارادة المتعة والقوة هي كل ما يسيطر عليه ، وبهذه الغريزة الخالصة استطاع أن يحل لغز أبي الهول أو (الطبيعة) الذي يلقيه على كل إنسان عند عتبة الوجود فقد أدرك أن كلمة اللغز هي الإنسان ذاته .)

هذا نص فكرة (شوريه) ، وهذا ما رآه (جيد) أيضاً في (أوديب) التي أعتقد أنه لخص بها كل العقلية الأوروبية اليوم . تلك العقلية التي نستطيع أن نصعد بها راجعين إلى أيام (فولتير) فهو الذي بدأ يدك حصن الإيمان من القلوب ، بما كان يقذف به الذات العلية من أنواع السخرية ، وإن كان قد تسامح أحياناً فترك فكرة « الله » تعيش دون أن يتناولها بالإنكار الصريح ، حتى جاء (رينان) في القرن التاسع عشر فجعل يشكك الناس فيما سماه الأفكار العتيقة عن « الله » قائلاً إن (الناس يعيشون على انفاس عطر ينبعث من إناء فارغ !) واجتاح (نيتشه) بعدئذ العقول والنفوس بأرائه التي أنكر بها صراحة وجود أي عالم خفي أو أي سلطان إلهي ،

هو كدأ أنه لا يوجد شيء فوق الإنسان ! . . وأن ارادة القوة فيه هي كل فضيلته وكل فردوسه ، معلناً : « لقد حل الإنسان الأعلى اليوم محل الآله ، إن الآله قد مات ! » . على أثر ذلك كله تصدعت العقيدة الدينية في النفوس ، فما عاد أحديهم من بشيء غير الانسان ! . . . ذلك هو إيمان أوروبا اليوم الذي لخصه (جيد) أبرع تلخيص في قصة (أوديب) وقد انتهى منه إلى انتصار الانسان حتى في مخنته على كل القوى الظاهرة والخفية ، هكذا يرى الفكر الأوروبي المعاصر (الإنسان) وحده فقط في هذا الكون ، وهو أمر ، وإن أدركه عقلي المتابع لتطورات العقل البشري ، فلا يؤمن به قلبه الشرقي الديني ، لقد رأيت أنا أيضاً في قصة (أوديب) تحدياً من الانسان للآله ، أو القوى الخفية ، ولقد أظهرت هذا التحدي على نحو أبرز ولكنني أبرزت كذلك في عين الوقت عواقب هذا التطاول ، لأنني ما شعرت قط يوماً أن الانسان وحده في هذا الكون ، هذا الشعور هو أساس عملي كله ، ومن يطالع الثلاثين كتاباً التي نشرتها دفعة واحدة ، ربما أحس هذه الفكرة تخيم عليها كلها ، كما تخيم على مؤلفات (جيد) فكرة الانسان الوحيد في الكون ، وربما استطاع القارئ

المنقطع أو الناقد المتخصص أن يرى هذه الفكرة أو هذا الشعور في
أردية وحنايا واتجاهات لم تخطر لي على بال.. ان القارىء أو الناقد
الذى يتتبع فكرة أو اتجاهاً في مؤلفات كاتب لم يعرف بعد في
آدابنا العربية الحديثة ، فالنقد الأدبي هنا لم يزل في طور النقد الصحفي
الذى يتناول الكتاب منفصلاً عن هيكل آثار المؤلف ، وما من
ريب في أنه سيعقب هذه المرحلة طور أرقى هو طور (النقد
الإثنائي) الذى يعكف فيه الناقد على مجموع أعمال مؤلف بعينه
ليستخرج منها فكرة وينشئ منهجاً ، إن شعورى بأن (الشرقى)
يعيش دائماً فى (عالمين) على النحو الذى ذكرته فى (عصفور من
الشرق) هو الحصن الأخير الذى بقى لنا لنعتصم فيه ضد تفكير
(الغربى) الذى يعيش فى (عالم واحد) هو عالم الانسان وحده ،
وشعورى هذا ليس سوى امتداد لشعور فلاسفة الاسلام ،
إن التجديد الجوهري الذى جاءت به الفلسفة الإسلامية
وأثرت به على أوروبا فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ليس فى
أنها نقلت آثار أفلاطون وأرسطو ، ولا فى انها شرحتها وحدها
وفسرتها ، بل فى انها اطاعت بعدئذ على تفكير مدرسة الاسكندرية
وعلى الافلاطونية الجديدة ، وما اصطبغت به تلك الأفكار من

روح ديني في عهد المسيحية الأول ، ثم تناولت كل ذلك ومزجته
على الرغم من صعوبة المزج ، مزجت منطق ارسطو بالروح الديني
لا كما تلقته من مدرسة الاسكندرية ، بل كما طبعته بالطابع الاسلامي .
بذلك عرفت أوروبا ما سمته الفلسفة العربية أو الاسلامية ، أي
ذلك المذهب العجيب الذي يقوم على عمودين ، ما كان أحد يظن
بأنها يقومان جنباً إلى جنب : العقل والعقيدة الدينية .

ليس غريباً على مثلئ اذن أن يحتفظ بأثار تلك الفلسفة ، وأن
يراها تتمشى في دمه على الرغم منه ، فان اتصالنا بالحضارة الأوروبية
كفيل أن يفيدنا في اجتلاب القوالب وتجديد الثياب ، ولكنه غير
قدير على اقتلاع الروح ولا نحو الطابع

فأنا أتحرك دائماً في عالمين ، وأقيم تفكيري على عمودين ،
ولا أرى الإنسان وحده في هذا الكون ! ، إني أؤمن ببشرية
الإنسان ، وأرى عظمته في أنه بشر ، بشر له ضعفه ونقصه وعجزه
وأخطاؤه ، ولكنه بشر يوحى إليه من أعلى ، !

هذا هو وجه الخلاف بيني وبين (اندرية جيد) ، ومن سبقوه

عن اللهوا الإنسان وجعلوه في عالم واحد ، رباً لنفسه وللكون ،
حاكماً بأمره ، لا يسيطر عليه غير ارادته وعقله ! .

ولقد كان (جيد) مخلصاً في إجلاله للإنسان ، وقد وضع
(أوديب) في إطار من التقديس لكبرياء الإنسان ، ذهب فيه
إلى حد الإيمان بهذا الصلف ، والتمجيد لهذا التطاول ، إطار جليل
هز نفسى وأمتع ذهنى ، وليس إلى إنكار ذلك من سبيل ،

على أن الجلال الذى أحاط به (اندريه جيد) قصته لم يمنعني
من رفض طريقته في الأداء ، فهو جلال فكرى محض يمتنع أمثالى من
محي الفكر المجرد ، ولا يرى فيه بأساً أولئك المتذوقون لآثار
المسرح الذهبى ، ولوانى تناولت (أوديب) منذ عشر سنوات لجردها
أنا أيضاً من كل شيء إلا بما أردت أن أصب فيها من آراء ، هكذا
فعلت في عام ١٩٣٩ بقصة (مشكلة الحكم) التى وضعتها على أساس
(أرسطوفان) ثم فى قصة (بجماليون) ولكنى اليوم أريدان التقي بالآلى
عناصر التمثيلية ، من حيث هى شيء يعرض على النظارة ، لقد تساءلت
أمام قصة اندريه جيد : لماذا لم يحتفظ لمأساة أوديب بجلاطها
المسرحى ؟ ، لكانه قد استل عامداً كل ما فيها من قيمة درامية ، بلا

موجب أحيانا ، فهذا التحقيق الذي قام به أوديب للكشف عن الحقيقة ، هذا التحقيق الذي رأيت فيه ، أنا المحقق القديم ، غاية البراعة في إدارة دفته ، ومناقشة شهوده ، ورأى فيه النظارة على مدى القرون مشهدا مسر حيا من أشد المشاهد تأثيراً في النفس وتعليقا للأنفاس ، لما إذا اختزله (جيد) هذا الاختزال ، واقتضبه وطواه كما يطوى اللغو من الكلام ، ومضى بغمكته يسير بها إلى العقل صعداً ، دون سند من المواقف المشيرة؟! من الخطأ إذن ان نسمى قصة (جيد) مأساة ، انه ما قصد قط ان يعرض علينا (تراجيديا) في جمالها الفني وجلالها العاطفي ، ماذا يمكن أن نسمى عمله هذا إذن؟ ، اغلب ظني أنه (تعليقات فكرية) على (أوديب) سوفوكل أو أنه (تراجيديا ذهنية) نزعنا منها كل عناصر التراجيديا المسرحية..

لذلك حرصت كل الحرص على أن احتفظ لمأساة (أوديب) بكل قوتها الدرامية ، ومواقفها التمثيلية ، وكان عنائي كله في أن أعني كل أثر لتفكير يظهر في الحوار ، حتى لا يطغى على الموقف أو يضعف من الحركة ، كان جهدي هو أن أخفي الفكركة في تلايب الحركة ، وأن أطوى اللب في أعطاف الموقف ، على أني صادفت

من الصعاب ما لا اعتقد أنى اجتزته ، فلقد تذكرت نصيح (سارسي) لنظارة الكوميدي فرانسيز : أن يرجعوا قبل الحفلة إلى معجم في الميثولوجيا الأغريقية ! ، لا بد لي اذن من أن الخص ماجرى لأوديب قبل بدء المأساة ، وأن أجرد القصة من بعض المعتقدات الخرافية التي تأبأها العقلية العربية أو الإسلامية .
وأن أخرج على قاعدة الوحدة في الزمان والمكان التي تخضع لها التراجيديا اليونانية ، خرجت على هذة القاعدة مرغماً ، وكان بودى لو احتفظت بها ، ولسكنى رأيت جو الأسرة في حياة (اوديب) امرأ لا ينبغي اغفاله ، لأن على محوره تدور الفكرة التي من أجلها تخيرت هذه المأساة بالذات ، وجو الأسرة عند أوديب لا يمكن أن يجعل خارج البيت ، حقاً إن حوادث التراجيديا الأغريقية تقع دائماً في ميدان عام أو في الهواء الطلق ، لأن روح الحياة اليونانية القديمة كان يتطلب ، كما يقول أوتو مولر ، اخراج الحركة المسرحية من داخل المنازل إلى الخارج ، فكل هام من الأحداث وكل عظيم من الأمر ، إنما كان يقع عند اليونان في مكان عام ، وما كانت العلاقات الاجتماعية بين الناس تنشأ في البيوت ، بل في الأسواق والطرقات ، مما اضطر شعراء الاغريق إلى ملاحظة

تلك التقاليد في حياة الاغريق ، عندما كانوا ينشئون آثارهم التمثيلية .
على أنى فكرت رغم ذلك في إمكان المحافظة على هذه القاعدة
في هذه القصة ، لو أصررت على ذلك مخرج مسرحي ، أعطى من سعة
الخيالة ، ما يمكنه من إظهار جو البيت وجو الميدان في آن ، دون
حاجة إلى تغيير في المناظر ، أو خروج على قاعدة الوحدة في الزمان
والمكان .

وبعد . . فاني لست أدري ما صنعت بهذه التراجيديا ؟ . هل
أحسننت بأقدامى هذا أو أسأت ؟ وهل يسيغها الأدب العربي على
هذا الوضع ؟ . . .

لقد حاولت . . وهذا كل ما أملك ؟

ت . أ

الفصل الأول

« الملك أوديب مستند إلى عمود من أعمدة البهو في قصره ، وهو جامد كتمثال ، يطيل النظر مفكراً إلى المدينة من خلال شرفة رحيبة ... وتظهر الملكة جوكاستا بين صغارها الأربعة ، تشير إليهم بالتمهل وتخفيف الوطاء .. بينما تهمس انتجونه وهي الكبرى لأمها : »

* * *

انتجونه (هامسة وهي تتأمل أوديب)

أمها ! .. ما باله يرسل البصر هكذا إلى المدينة ؟

جوكاستا

اذهي إليه أنت يا انتجونه ، وسرّي عنه .. فهو يصغى

إليك دائماً .

انتجونه (تتجه إليه بهدوء)

ابتاه ! .. فيم تفكر وحدك هكذا ؟

تلك التقاليد في حياة ا / أوديب (يلتفت اليها)
على أني فحونه ؟ . (يرى الملكة وبقية الاقرباء) وأنت يا جو كاستا ؟
في هذهم ها هنا .. حولي ... ما الذي جاء بكم الآن ؟ .

جو كاستا

هذا الهم الجاثم على صدرك يا أوديب ! لا تقل لنا إنه
الطاعون الذي نزل بالمدينة .. فأنت لا تملك لدفعه شيئاً ..
ولقد فعلت ما استطعت ، وأسرعت في طلب « ترسياس » ليشير
عليك بما يوحي اليه اطلاعه على علوم البشر وأسرار الغيب ..
فيم اذن هذا الاطراق الطويل ؟

أوديب

.. محنة طيبة ! . تلك المدينة التي وضعت مصيرها في يدي .

جو كاستا

كلا يا أوديب . ليست محنة المدينة وحدها .. انى أعرفك
كما أعرف نفسي .. هنالك علة أخرى . في نفسك انقباض أطالع
أثره في عينيك ...

أوديب

انقباض لا أدري له علة .. لكأن شراً مستطيراً يتربص في

جوكاستا

لا تقل ذلك .. إنما هي آلام الناس قد انعكس طيفها
على نفسك الصافية . نحن أسرتك يا أوديب ، علينا الآن
وأجب التسرية عنك .. هلموا يا أولادنا .. التفوا حول أبيكم ،
وبددوا عن رأسه وقلبه هذه السحب القاتمة ! ..

انتجونه

ابتاه ! .. أسألك شيئاً لا تردني عنه .. قص علينا قصة
ذلك الوحش الذي قتله فيما مضى ..

أوديب

أغلب ظني يا جوكاستا أنك أنت الموحية إلى أولادنا ،
أن يسألوني ذلك دائماً .. لقد سمعوا تلك الحكاية مني كثيراً ..

جوكاستا

ولماذا تضيق بذلك يا أوديب ؟ إنها على كل حال صفحة من

حياتك يجدر بأولادنا أن يلهوا بها كل الإمام .. إن كل أب
بطل في نظر أبنائه .. فكيف بك وأنت البطل الحقيقي في
نظر طيبة كلها .. ومع ذلك فكأن على ثقة أن أولادنا هم الذين
يتوقون إلى سماعها منك في كل حين .. انظر إلى عيونهم
المتطلعة ، وإلى أنفاسهم المعلقة ! ..

انتجونه

أجل يا أبي .. قص علينا كيف انتصرت على الوحش !

أوديب

تريدون ذلك حقاً يا انتجونه ؟ . أولم تسأمي منها
يعد ؟ .. واختك وأخوالك ؟ .

انتجونه (تهز رأسها نافية وكذلك الجميع)

لن نسأم أبداً .

أوديب (يتخذ مقعداً وأولاده حوله)

اذن فاسمعوا .. . كان ذلك منذ عشرين عاماً .. .

جو كاستا (وهى تجلس بقربه)

منذ سبعة عشر عاماً .. فيما أذكر .

أوديب

نعم .. أصبت .. حدث فى ذلك اليوم انى دنوت من
أسوار طيبة ...

انتجونه

مرحباً البداية يا أبتاه ! ... قص علينا من البداية .

أوديب

ليس لهذا صلة بحادث الوحش . ومع ذلك فليكن ما تريدون .
أنتم تعلمون انى نشأت مثلكم فى قصر ملكى .. ووجدت مثلكم
الحب والعطف فى أحضان أب كريم هو الملك « بوليب » وأم
رؤوم هى الملكة « ميروب » .. لقد ربيانى وهذبانى ، كما يربى
ويهذب أبناء الملوك ... إلى أن صرت شاباً جلدأ قوياً ذكياً ..
أحذق الفروسية ، وأهيم بالمعرفة .. أجل يا أنتجونه ! .. كان لى

بريق عينيك ، كنت محباً للبحث عن حقائق الأشياء .. ففى
ذات مساء .. علمت من شيخ بالقصر ، أطلق لسانه الخمر ،
أنى لست ابناً للهلك والملكة ، فهما لم ينجبا قط الولد .. وإنما
أنا لقيط تبنياه .. . منذ تلك الساعة لم يهدأ لى قرار ، ولم
أقعد عن التفكير لحظة فى حقيقة منبتى .. فغادرت تلك البلاد ،
وهمت على وجهى ، باحثاً عن حقيقتى .. حتى انتهى بى المطاف
إلى أسوار طيبة ..

أنتجونه

وهنا لقيت الوحش ..

أوديب

نعم يا ابنتى .. وكان وحشاً مهولاً .. أسداً ..

جو كاستا

له وجه امرأة ..

أنتجونه

وله أجنحة نسر .. إنك تنسى دائماً يا أبى أن تحدثنا

عن أجنحته ..

أوديب

نعم .. نعم .. كانت له أجنحة كأجنحة النسر . وقد
خرج على من الغاب ...

أنتجونه

سائرآ أم طائرآ ؟ ..

أوديب

سائرآ كالطائر .. وفتح فمه ...

أنتجونه

وطرح عليك اللغز ...

أوديب

نعم .. قبل أن يأكلني طرح على لغزآ .. ذلك اللغز
الذي قيل إنه كان يطرحه على كل من لقيه من أهل طيبة ...

جوكاستا

وكلهم عجزوا عن حله ... فكان يفتك بهم عندئذ ويقتلهم

لساعتهم ... حتى أهلك عدداً كبيراً من أهل المدينة .. أجل
يا أوديب لقد لبث أهل طيبة زمناً يتحاشون التخلف خارج
الأسوار إلى مغيب الشمس ، خوفاً من لقاء الوحش ... لقد
سموه «أباهول» فلقد ألقى الرعب في قلوب الناس طويلاً ..
وكان زوجي الملك «لايوس» قد مات منذ قليل . وتركني
في عنقوان العمر، وحيدة ، أعيش في برد هذا القصر .. أرتجف
فرقاً بما يشاع في المدينة عن أنى الهول وضحاياه .. كان أخي
«كريون» في ذلك الوقت هو الوصي على العرش .. فلم يقو
على دفع الكارثة .. وهاج الشعب طالباً الحماية من ذلك الخطر ،
ثم لم يلبث أن أعلن رغبته في أن يمنح عرش المدينة لمن
ينقذها من الوحش ..

أوديب

ليس العرش وحده ياجوكاستا .. كانت هنالك مكافأة
أخرى أتمن منه .. هي يد الملكة الأرملة .. هذا كله كنت
أجهله عندما لقيت الوحش .. لو انى عرفت ذلك الجزاء الجميل
الذى كان ينتظرني ، ترى ماذا كنت أصنع ؟ .. ربما كان
فؤادى اضطرب ، ويدي ارتجفت ، ولم أظفر بالنصر ! ..

أنتجونه

وكيف مات الوحش ؟ ..

جوكاستا

عندما حل أبوك اللغز ، الذي لم يستطع أحد حله ، اغتاض
أبو الهول ، وألقى بنفسه في البحر ... كنت أنا وقتئذ في قصرى
ها هنا .. أتلقى أحاديث الناس عن ذلك اللغز ، الذي يطرحه
الوحش على ضحاياه .. ولا أدري ماهو ؟ فما من أحد عاد
إلينا حياً قبل أيكم ، ليخبرنا به .. ولست أكنم عنك الآن
يا أوديب .. لقد كنت يومئذ أطرح على نفسي أنا أيضاً
سؤالاً ، بل لغزاً : ترى من هو الظافر ؟ وهل سأحبه ؟ ..
لطالما صحت من أعماق نفسي في سكون الليل : « من الظافر »
لا بالوحش .. بل بقلبي .. قلبي الذي لم يكن قد عرف الحب ..
رغم زواجي المبكر بالملك الطيب « لا يوس » .. لكن ..
عندما رأيتك يا أوديب وأحببتك أدركت أن لغزى هو
الآخر قد حل ! ..

أنتجونه

كيف طرح عليك أبو الهول لغزه يا أبتى ؟

أوديب

قال لي ، وقد نفش ريش جناحيه : « أيها القمام .. ماذا
جئت تصنع هاهنا ؟ » فقلت له : « جئت ابحث عن حقيقتي ؟ »
فقال : « إليك سؤالان .. إذا عجزت عن جوابه فأني اقتربك :
ما هو الحيوان الذي يمشي في الصباح على أربع ، وفي الظهر
على اثنتين ، وفي المساء على ثلاث ؟ .. »

انتجونه

لا تجب أنت يا أبي .. دعني أنا اليوم أحل اللغز ، نيابة
عنك . لقد اجبتته هكذا : « أيها الوحش الذي أرعب المدينة ،
لن تغلبنى . ان ذلك الحيوان الذي تسألني عنه هو « الإنسان » ! ..
فهو الذي في الصغر يمشي على يديه وقدميه ، وفي الكبر
يستوى ما شياً على قدميه ، وفي الشيخوخة يمشي على قدميه
وعصا .. »

أوديب

الجواب كما ترى ، واضح يا انتجونه .. واني لأعجب كيف

فات اكثر الناس رؤيته ! .. ربما كنا نحمل كثيرا من الأجوبة
عما نسأل ، دون أن ندرى أو نرى ...

جوكاستا

لعل الوحش أراد أن يسخر من الإنسان الذي لا يرى
نفسه ! . ولكنك أنت رأيت يا أوديب وأجبت ..
وبهذا أكدت الوحش وأخرسته وألقيت به في البحر ..
ودخلت طيبة .. فوجدتها تستقبلك ، لتجلسك على عرشها ،
وتمنحك يدملكها .. هكذا جئت إلى ، وعشت معي ، وانجبت
منى هذا النسل الطيب الجميل .. وأعطينا هذه السعادة ..

أوديب

نعم .. هذه السعادة التي غمرتني ، وأنستني ما كنت
خرجت له .. وما كنت أبحث عنه ...

جوكاستا

حقيقتك ؟ ! .. ماذا يهمنا من أمر هذه الحقيقة .. ما دمتنا

سعداء !! . قلت لك كثيرا : إياك أن تظن اني كنت أوثرك
من سلالة الملوك .. إنه لفخر لي ولأولادنا ألا تكون إلا
من صفوة الأبطال ! . من أجل هذا أحب أن تروى لصغارنا
بطولتك ، وتلقى عليهم درسك في كل حين . . بل لست
انكر أني ، أنا أيضا ، أحب ان اسمع دائما هذه القصة منك ..
إنها تذكرنى بتلك اللحظات التي كان يترقبك فيها قلبي .. قلقاً ،
مرتجفاً ، لا يدرى أتظفر أنت بمفتاحه أم يلقى بنفسه في
بحر العدم ! .. أوديب ! .. زوجي .. لكانه كتب لي أن
أرى السعادة كاملة ، وأن تراها انت كذلك بلا شائبة . . .
لقد كان لي من « لا يوس » ولد .. ولكن الآله الذي أراد
سعادتنا ولأزيب ، أوحى اليه أن ينبذ هذا الولد ، لأنه سيكون
شؤماً عليه . . فدفع به عقب ولادته إلى من يقتله في
الجبيل . . وبهذا لم يقم بيني وبينك اليوم طيف ينغص عليك
ما أنت فيه من هناء ! .. أوديب ! . ما ذا بك ؟ . لقد عادت
السحابة القائمة تخيم على وجهك ! ..

أوديب

قلقي على هذا الشعب في محنته .. لقد ارتعدت وأنت
تلفظين كلمة « الهناء » .. أحس شيئاً يخيفني الآن من هذه
الكلمة ... اسمعوا ! ما هذا الصوت ؟ ..

(جو كاستا والأولاد
يلتفتون إلى الشرفة)

انتجونه

إنهم يهبطون من التلال ، ويفيضون في الطرقات ، حاملين
الأغصان .. !

جو كاستا

أجل يا أوديب ! .. هم أهل طيبة .. آتون ولا ريب
إليك ، حاملين أغصان الضراعة ! ..

(ينظر أوديب من الشرفة صامتاً بين أسرته)

الشعب (في الخارج يصيح)

أيها الملك أوديب ! .. أيها الملك أوديب ! ..

صوت (من بين الشعب في الخارج)

أيها الملك الجالس على عرش طيبة ! .. انك ترى الأفواج
من شعبك .. يتدفقون رجالاً ونساءً ، أطفالاً وشيوخاً ،
ليرتموا على أعتاب بابك ، رافعين في أيديهم أغصان الضراعة
ترتجف فوق أبدانهم الخائرة .. إن المدينة ، كما ترى بعينك ،
قد عصفت بها المحنة .. وإن الموت ليطيح بالقطعان في
المراعي ، ويطيش بالأطفال في المهود .. إن الطاعون يحمص
في أنحاء ملكك الأرواح ، وينثر الدمار .. هازئاً بقلوبنا الدامية
ودموعنا الجارية .. أوديب ! .. يامن أنقذت هذه المدينة ،
من « أبي الهول » ، أنقذها اليوم من هذا الطاعون ! .. إن
الشعب الذي نادى بك بطلاً ، وأجلسك على عرش هذا
الوطن ، كي تدرأ عنه المحن ، ليطالبك الآن بأن تهب لنجدته ،
وأن تنهض لمعونته ! ..

أوديب

شعبي التعس ! .. إنني لست نائماً عن آلامكم ولا غافلاً .. فأنا
أتوجع لما أنتم فيه أشد الوجيع .. ولست ناسياً أنكم رفعتُموني

إلى هذا العرش لأحبيكم ، وأنكم تنتظرون مني عملاً ينقذكم ..
فدعوا لي وقتاً للتفكير والتدبير والعمل ! ..

الصوت (من الخارج)

أيها الملك ! .. استخر الآله .. ها هو ذا كبير الكهنة
يدخل قصرك .. إصغ إليه ! ..

(يلتفت أوديب وأسرته إلى باب البهو .. فيرون
كبير الكهنة داخلاً)

الكاهن

يا أوديب ! .. جئت أقول لك كلمة وأمضى .. شعبك
يتساقط من حولك كما يتساقط الورق عن الشجرة .. وإذا
كان فرعك لم تسقط منه حتى الآن ورقة ، فهذا لا يليق ،
فيما نظن ، عن الرثاء لحال الآخرين .. ولكن الرثاء وحده
لا يكفي .. والأمر ، كما ترى ، لا ينفع فيه حل الألبازولافك
الأحاجي .. وليس لنا من مخلص إلا الرجوع إلى الإله ! ..

أوديب

فوهل أنا الذي يمنعكم من الرجوع إلى الإله ؟ ! ..

الكاهن

إنك لا تمنعنا .. ولا تستطيع .. ولكنك تبحث دائماً
فيما لا ينبغي البحث فيه ، وتسال دائماً أسئلة لا يجب أن
تطرح .. إن وحي السماء عندك موضع فحص وتنقيب ..

أوديب

لو كان في يدي التجرد من طبيعتي ! ..

الكاهن

لا حاجة بك ولا بنا إلى ذلك .. لقد التمسنا من رجل
آخر أن يمضي إلى معبد « دلف » ليستخير الآله ، فيما يخلق بنا
أن نضع ، حتى يرفع هذا الغضب عنا ! ..

أوديب

ومن هذا الرجل الذي أوفدتموه ؟

الكاهن

هو كريون .

جوكاستا

أخى ؟

الكاهن

إنه ، فيما نعلم وتعلمون ، رجل لا يجادل في الحقيقة ، ولا يمارى
في الواقع .. وإن يقول للكهان في معبد « دلف » : أقيموا الى
البرهان المحسوس ، على أن هذا الوحي هبط عليكم من الآله
حقاً ، ولم يهبط من أذهانكم ؟ ..

أوديب

يسرني أن يكون « كريون » موضع ثقتهم .. ولكني لم
أفهم بعد عنك : ماذا جئت ترجو عندي ! ..

الكاهن

كريون لا بد عائد بعد قليل .. فإذا جاء من المعبد بأمر ، فهل
أنت مستعد يا أوديب ، أن تنفذ هذا الأمر ، إنقاذاً للمدينة ؟ ..

أوديب

عهمت الآن .. (بعد لحظة تفكير) أستطيع أن أجيئك يا كبير

الكهنة .. كل ما فيه إنقاذ المدينة لن أحجم عن تنفيذه ..

الكاهن

أنصرف إذن ، لأعود إليك مع كريون ، بما يحمله من
وحي علوى ! ..

(يخرج كبير الكهان ، ويبقى
أوديب في أسرته صامتين)

جوكاستا (بعد لحظة)

رحمة بنا أيتها السماء ! .. إني ... خائفة ! ..

أوديب

لا تخافى ! .. إني لست خائفاً .. مامن شيء يخيفنى حقاً ،
إلا أن أرى خطراً يذنو منك ومن أولادنا .. أما
هراء هؤلاء الكهان ...

جوكاستا

لا تقل ذلك يا أوديب ! .. لا تقل ذلك أمام أولادنا ...
إعلم أنى مدينة بسعادتي للأله ! ..

أوديب

أواثقة أنت من ذلك ؟ ..

جوكاستا

كفّ عن هذه الأسئلة المشؤومة ! .. إنك لم تعد تشق
بشيء ، منذ أن عرفت أنك لقيط ... إنها كانت لك صدمة ...
لقد كنت نشأت على حب والدين ، ما شككت قط في انها
والداك ... فلما انكشفت لك القناع فجأة عن زيف
ما كنت تخاله حقيقة ، انهارت ثقمتك بالأشياء ...

أوديب (ملتفتاً إلى الشرفة)

صه ! .. ما هذا الضجيج ! ؟

الشعب (في الخارج يصيح)

أيها الملك أوديب ! .. أيها الملك أوديب ! ..

صوت (في الخارج بين الشعب)

هذا ترسياس قد أقبل .. استشره .. فإنه يوحى إليه
من السماء ! ..

(يدخل ترسياس الضيرير يقوده غلام)

ترسياس

بعثت في طلبي يا أوديبي ؟ ..

أوديبي

قعم .

ترسياس (وهو يترك يد الغلام ويشير اليه بالخروج)

هل نحن وحدنا ؟

(جو كاستا تقود أولادها وتخرج بهم)

أوديبي (وقد رأى البهو يخلو)

نحن الآن وحدنا .

ترسياس

أعرف لماذا دعوتني .. وما بي حاجة إلى وحى السماء ، لأقرأ
ما في نفسك .. الشعب يطالبك بأنقاده . وليس علاج الطاعون
هو وحده الذي يشير همك .. ولكنه الخطر القائم حولك ..
الكهنة لا يحبون تفكيرك ، ويضيقون بعقليتك ، ويأنسون بمثل

« كريون ، ! .. والظروف في طيبة اليوم تماثل الظروف التي
فزت فيها بالملك .. ظروف تلائم الانقلاب .. لأن كل محنة
تزلزل سواد الشعب ، إنما تزلزل في عين الوقت قوائم العرش ! ..

أوديب

وهل تظن كريون يستطيع أن يقضى على الطاعون ، كما
استطعت أنا أن أقضى على الوحش ؟ !

ترسياس

من يدري ؟ . إن كريون ذهب يلتمس الوحي ، وعمما
قليل يعود بما يصدر إليه من أمر ! ..

أوديب

وأنت يا ترسياس ؟ . يامن يؤمن الشعب بأنك ملم بعلوم
البشر ، محيط بغيوب السماء .. أما من علاج لديك ، يزيل
هذه المحنة التي نزلت بالناس ؟

ترسياس

لقد تقدمت بي السن .. وإنه ليكمل بي الآن أن أرقب
ما يجرى من بعيد .. امض وحدك في طريقك يا أوديبي ! ..

أوديبي

تريد أن تتخلى عني الآن ، وأنت ترى الخطر المقبل
عليّ ، وتعرف الظروف التي ستعصف بملكى ؟ ! ..

ترسياس

لك يا أوديبي إرادة ، وفي يدك قوة ، وفي عينيك نور ..
ماذا تبغى من هرم مثلى ، واهن القوى ، كفيف البصر . ! ؟

أوديبي

أدرك ما وراء كلامك انى أعرفك يا ترسياس ..
مثلك لا ينفذ يده مما حوله إلا لأمر

ترسياس

سأنفذ يدي هذه المرة لأرى ما يحدث ! ..

أوديب

لترانى أسقط ، كما رأيتنى أرتفع .

ترسياس

لإنها لمتعة كبرى أن أرى ماذا يجرى ، عندما أدع الأمور
فى يد القدر . . .

أوديب

لن تهناً بهذه المتعة ياترسياس ! . فانى أعرف كيف أفسد عليك
غرضك . . انك تحسب زمام عرشى فى يدك .. ولسكن قناعك فى
يدى . . أمزقه أمام الناس ، وأكشف عن وجهك ، عندما أشاء .

ترسياس

مهلاً يا أوديب ! . لا تدع الغضب يذهب بصوابك ! .

أوديب

كن على ثقة أنى لن أتيح لك اللهوبى ، بل انى لقدير
على أن أجعل الناس يلهون بك ! . .

ترسياس

ما ذا تستطيع أن تقول للناس ؟

أوديب

كل شيء يا ترسياس ، كل شيء .. فأنا لا أخشى الحقيقة ..
بل انى لا أنتظر اليوم الذى أطرح فيه عن كاهلى ، تلك
الأكذوبة الكبرى، التى أعيش فيها منذ سبعة عشر عاماً ...

ترسياس

لا تسكن مجنوناً ..

أوديب

قد أجن فى لحظة .. وافتح أبواب هذا القصر ، وأخرج إلى
الشعب صائحاً : اسمعوا يا أبناء طيبة .. اسمعوا قصة رجل أعشى ،
أراد أن يهزأ بكم .. وقصة رجل حسن النية سليم الطوية ، اشترك
معه فى الملهاة . انى لست بطلاً .. ولم ألق وحشاً .. له جسم
أسد، وجناح نسر، ووجه امرأة، يطرح الغازأ .. هذا خيالكم

السادج ، أحب تلك الصورة ، وأذاع ذلك الوهم .. ولكن
الذي لقيت حقاً هو أسد عادي .. كان يفترس المتخلفين خلف
أسواركم . استطعت أنا أن أقتله بهراوتي ، وأن ألقى جثته في
البحر .. وأن أخلصكم منه .. غير ان ترسياس ، هذا الضير
البارع ، أوحى اليكم ، من تلقاء نفسه لا من لدن الآله ، أن
تنصبوا ذلك البطل ملكاً عليكم .. لأنه يومئذ ما كان يريد لكم
كريون ملكاً .. نعم ، هو الذي أراد ذلك ودبره .. وهو الذي علمني
حل تلك الأحجية ، عن الحيوان الذي يحبو على يدين وقدمين ..

ترسياس

صه .. صه .. أخفض صوتك !

أوديب

وهو الذي أوحى قديماً إلى « لايوس » بقتل ابنه في المهدي ..
موهما إياه .. بأن السماء هي التي ألهمته ان الولد إذا كبر ، قتل
أباه .. لأن ترسياس ، هذا الأعمى الخطر ، صمم بأرادة من حديد

أن يقصى عن عرش طيبة وريثها الشرعى ... لقد أراد أن
يكون العرش لرجل غريب ، فتم له الأمر الذى أراد ...

ترسياس

قلت لك : اخفض من صوتك يا أوديب . .

أوديب

أجل . . هذا هو ترسياس . . الذى يلقى فى روعكم انه يقرأ
صفحات الغيب ، ويسمع أصوات السماء ، وهو لا يسمع فى
حقيقة الأمر ، إلا صوت إرادته ، ولا يطالع إلا سطور
حسابه وتدييره ، لقد شاء ، وهو نخور ، ان يغير مجرى الأمور ،
ويبدل فيما استقرت عليه نظم الوراثة ، وان يتحدى إرادة
السماء ، التى أخرجت من صلب « لا يوس » خليفة ، ليقيم بيده
الآدمية على العرش شخصاً ، هو وليد رأسه ، وصنعة فكره . .

ترسياس

هدىء من روعك يا أوديب ! . . فما يطفىء مصباح العقل

غير عواصف النفس ! . .

أوديب

أعرفت الآن ما في يدي ان أصنع بك؟

ترسياس

و بنفسك !

أوديب

لمست أخاف على نفسي ، من الحقيقة .. ولو طوحت بي من فوق العرش .. إنك تعرف ان الملك ليس بغيتي .. لقد كنت في « كورنت » مهدي الذي نشأت فيه ، بين أحضان « بوليب » الطيب و « ميروب » الرحيمة .. وما كان لهما من مطمع إلا ان يقنعا الناس اني ابنهما . وأن يجلساني على عرشهما .. ولكنني هربت من ذلك الملك .. باحثاً عن حقيقة أصلي .. لقد هربت من « كورنت » لأنني لم أطق الحياة في أكذوبة .. ووجدت هنا .. فأذا بي أعيش في أكذوبة أضخم ! ..

ترسياس

لعل الأكذوبة هي الجو الطبيعي لحياتك !

أوديب

وحياتك أنت أيضاً يا ترسياس !

ترسياس

وحياتي أنا أيضاً .. وحياة كل بشر .. لا تنس انك بطل
هذه المدينة .. لأن طيبة في حاجة إلى بطل .. وهي التي آمنت
بأسطورة أبي الهول .. فحذار أن تفجع الشعب في عقيدته ! ..

أوديب

ما من شيء يرغمني على الصمت إلا خوفي أن أجمع زوجي
وأولادي في إيمانهم ببطولتي .. ولا شيء يؤلمني إلا اضطراري
إلى هذا الكذب الطويل عليهم .. إنني لأتحامل على نفسي ،
حتى لا أصبح بهم ، وهم يروون أمامي قصة أبي الهول :
« لا تصدقوا هذا الهراء ! ان الحقيقة يا أولادي هي ... »

ترسياس

حذار يا أوديب .. حذار .. ما أشد خوفي أن تعبت أصابعك

الطائشة بقناع « الحقيقة » .. وأن تدنو أناملك المرتجفة
من وجهها وعينيها .. لقد هربت من « كورنت » هائماً
خلفها، ولـكنها أفلتت منك .. ولقد جئت طيبة تعلن أنك
مجرد عن الأصل والنسب، لتكشف للناس عنها .. فابتعدت
هي عنك .. دعك يا أوديب من « الحقيقة » .. لا تتحداها ..

أوديب

ولماذا تتحدى أنت السماء يا ترسياس؟ .. أترك أصلب مني
عوداً، وأمضى عزماً، وأحد بصراً؟ ..

ترسياس

لست أحدٌ منك بصراً يا أوديب .. فأنا لا أرى شيئاً ..
ولا أبصر في الوجود إلهاً إلا إرادتنا . لقد أردت ،
فكنت أنا الآله .. ولقد أرغمت طيبة حقاً على أن تقبل الملك
الذي أردته أنا لها .. فكان لي ما أردت .. كما ترى ..

أوديب (بنبرة تهكم)

أخفض صوتك يا ترسياس .

ترسياس

لا تسخر مني!.. ولا تحسبن ، لو صح عزمك على تنفيذ
وعيدك ، أنى عاجز عن مواجهة الناس!.. افتح أبوابك إذا
شئت .. واخرج إلى شعبيك ، وارفع عقيرتك فيه بما
تشاء .. عندئذ تعلم ما سيقول ترسياس!..

أوديب

ماذا ستقول؟

ترسياس

أسأصيح بملء فمي : « أيها الشعب!.. إنى لم أفرض إرادتى
لمجد أطمع فيه .. ولكن لرأى أو من به : هو أن تكون
لكم إرادة .. ما من حقد كان بينى وبين « لا يوس » ،
وما من ضغن كان بينى وبين « كريون » .. إنما أردت أن
أطوى صفحة الملك فى هذه الأسرة العريقة .. لأجعلكم
أتم تختارون لكم ملكا ، من عرض الطريق ، مجرداً من
الحسب والنسب ، لا سند له إلا خدمته لكم ، ولا لقب له

إلا بطولته فيكم . . ذلك أنه لا توجد ، في أرضكم ،
ولا ينبغي أن توجد ، إلا إرادتكم أتم ! .

أوديب

أو إرادتك أنت ! . . أيها الضير البارع ! . . إنك تعلم أن
الشعب لا يريجه أن تكون له إرادة . . وهو يوم يراها في
يده ، يسرع فيعطئها لبطل من نسج أساطيره . . أو لآله
مدرثر بغمام أحلامه ! . . كأنما هو يضيق بحملها ، ولا يقوى
على الاحتفاظ بها ، ويود التخلص منها وطرح عبئها ! . .
ولسكنك رجل أعماك الغرور . . لا تسعى حقاً إلى مجد
ظاهر . . غير أنك تريد أن تكون أنت منبع الأحداث ،
ومصدر الانقلابات ، ومحرك القوى التي تغير وتبدل في مصائر
الناس وعناصر الأشياء . . . إني لأرى فيك هذا التطاول
المستتر ، وأقرأ في نفسك هذا الصلف الخفي ! . .

ترسياس

من حق أن أتبه قليلاً يا أوديب . . فأنت لا تشكراني قد
نجحت . . وما أنت على هذا العرش إلا آية من آيات إرادتي ! . .

أوديب

سئمت سماع ذلك منك . . لقد دعوتك لأصغي إلى رأيك في
هذه المحنة ، لا لأصغي إلى أنشودة فخارك . . إن موقفك
مني اليوم لا أتبينه . . هل أنت معي ؟ هل انقلبت ضدي ؟ ..
لست أرى على أي أساس الآن قد أقمت إرادتك ! ..

ترسياس

ذلك ما سوف تعلمه في حينه يا أوديب .

أوديب

متى ؟

ترسياس

عندما يأتي كريون بذلك الوحي من معبد « دلف » ! . . من
حسن الرأي أن أعرف شيئاً عن إرادة السماء ، قبل أن أشرع
في تكوين إرادتي ! ..

أوديب

أفي مقدوري أن أعتمد على مؤازرتك لي يا ترسياس ؟

ترسياس

إنه لمن الحق يا أوديب أن تخشى من جانبي أمراً .

أوديب

نتنظر إذن ما يأتي به كريون .

ترسياس

دعني الآن أذهب .. إلى أن يجيء أوان العمل .. ولن أقول
لك الساعة إلا هذه : «واجه مصيرك يا أوديب .. ولا تخف ..
فأنا معك ! ..»

أوديب

أواثق أنت يا ترسياس ؟

ترسياس

أين غلامى الذى يقودنى ؟

أوديب (كالمخاطب لنفسه)

مصيرى ؟ ١ . ما هو مصيرى ؟

ترسياس

أين الغلام ؟

(يتجه أوديب إلى الباب ويفتحه ويدخل الغلام
فيقود ترسياس إلى الخارج . . . أما أوديب فيبقى
وحده ، ويسند رأسه إلى عمود مطرقاً . . .
ولا تلبث جو كاستا أن تدخل وحدها . . .)

جو كاستا (تبحث بعينها في الهو)

انصرف النبي ترسياس ؟

أوديب (يلتفت إليها)

نعم .

جو كاستا

عسى أن يكون قد أخبرك بما يزيح هذه الغمة ، ويزيل
هذه المحنة ! . . .

أوديب (كالمخاطب نفسه)

لا ينبغي أن أعتمد إلا على يدي هذه . . . يدي هذه التي تعرف
كيف تبطش بكل من يتعرض لي ولكم بسوء . . . وحشاً
كان أو بشراً . . . أو . . . إلهاً ! . . .

جو كاستا

لا تهن الآله يا أوديب ! .. أنت مدين له بسعادتنا ..
وهو لا يمكن أن يريد بك شرآ .. فهو الذى قادك من
« كورنت » إلى هنا .. حيث وجدتنى .. وعشنا هذه الحياة
الراضية ، وأنجبنا هؤلاء الأولاد البررة ! ..

أوديب

ما عدت أرى شيئاً فيما يكتنفنى من ضباب ! .. كل
ما أعرف هو أن كارثة تهددنى .. من أى جهة ؟
لا أدرى .. من أى يد ؟ لا أدرى .. إنى كأسد فى غابة ..
يحس من حوله شياً كآ منصوبة لا يعلم موضعها ولا واضعها ..
إنى أتلس كالأعمى وأتحسس .. فلا أبصر شيئاً ولا أحداً ..
إنما أشم رائحة خطر يدنو منى ..

جو كاستا

حبك لنا يا زوجى الحبيب هو الذى يخيل إليك هذا الوهم .. إن
الطاعون لن يدنو من بيتنا .. ولن يمس أحداً من صغارنا .. إنما

هو وباء آخر ، أرى انك انت ناقله الى ولا ريب .. ذلك القاق
الذى يثير ساكنك .. أنا أيضا يا أوديب ، يملؤني ذلك
الانقباض المروع ، حتى لأكاد أشعر كأن شيئاً غليظاً
يخنقني .. هنا في عنقي .. فلا أقدر على التنفس .. وأحس كآبة
مظلمة تغرق فيها نفسي ، كما يغرق ميت في ظلام قبر ! ..

أوديب

صه .. لا تذكري الموت يا جو كاستا ..

جو كاستا

أرأيت كيف يزعجك انقباضى .. كما يزعجني قاقك وهمك ..
يحسن بنا يا أوديب أن نطرد عنا هذه الأشباح .. ما من
ريب ان هذا الجو المشبع بالشقاء حولنا في هذه المدينة ،
قد نشر في نفوسنا هذه السحب القاتمة المكفهرة ..

أوديب

ربما ..

جوكاستا

مهما يكن من أمر ، فإن من واجبنا التجلد واظهار البشر ،
رحمة بأولادنا .

أوديب

نعم .. أين أنتجونه ؟

جوكاستا

هذه البنت يا أوديب تؤمن بك اكثر من إيمانك بنفسك ..
لقد تركتها الساعة وهي تقول لأخوتها إنك لا بد منتصر
على الطاعون ، كما انتصرت على أبي الهول .. لأن الآله لم
يضعك على هذا العرش عبثاً ..

أوديب (في شبه همس)

ابنتي العزيزة ! ..

جو كاستا

إنها تعتقد أن مصيرها معلق بمصيرك .. واطالما قالت
لى إنها لا ترجو من غدها شيئاً إلا أن تعيش فى معبد بطولتك،
وان ترى الدنيا كما تراها أنت .. وأن تكون لها عيناك، تبصر
بهما ما فى الحياة من أحجيات وأسرار وألغاز ...

أوديب (كال مخاطب لنفسه)

وأنا أتمنى أن تكون لى عيناها .. تبصران لى ما فى
النفس من طمأنينة؛ وما فى القلب من صدق؛ وما فى الوجود
من صفاء! ..

جو كاستا (تسمع)

إصغ يا اوديب! .. ما هذه الضوضاء! ..

الشعب (فى الخارج يصيح)

جاء كريون ... جاء كريون! ..

أوديب (ناظراً إلى جبهة الشرفة)

تعمم... جاء... ترى ما الذي جاء به أخوك؟

جوكاستا (وهي ناظرة إلى جبهة الشرفة)

لا بد انه جاء نبياً سار... فقد عقد على جبينه اكليلاً
من الزهر!..

أوديب (عند الشرفة)

وهذا كبير الكهنة معه.. وهما يشقان الطريق بين
جموع الشعب.. ويشيران إلى الناس بالتحية...

جوكاستا

انهما يدنوان من باب القصر.. سأذهب أنا، لأدعكم
تعكفون على ما فيه صلاح المدينة...

أوديبي

إني أتحرق شوقاً الى معرفة ما جاء به ...

جوكاستا

أرجو أن تعلم منه الآن ما يقر في نفسك الراحة ،
ويشيع فيها الهدوء ...

(تنصرف)

أوديبي (في همس)

نعم .. سأعلم الآن ...

(يدخل كبير الكهنة وكريون ..)

الكاهن

هذا كريون قد عاد من معبد « دلف » .. بقول عظيم ،
آثرت ان يفضي به اليك في خلوة يا أوديبي .. إذا أذنت له
في الكلام ...

أوديب

إني مصغ إليه . . . فليفض الينا بكل ما لديه . . .

كريون

إليك يا أوديب ما انتهى إليه علمي . . . لقد كشف
لنا الوحي عن سر هذا الغضب ، الذي أنزلته السماء
بأرضنا . . .

أوديب

ما هو هذا السر ؟ أسرع ! . . .

كريون

فساد على هذه الأرض ، يجب أن يزال . . . وإلا كان
مصيرنا نحن إلى زوال . . .

أوديب

أى فساد ؟ !

كريون

أثم يدنس طيبة ، لا بد من محوه .

أوديبي

أفصح ! . . .

كريون

دم على أرضنا قد سفك ، ولا مفر من غسل ذلك

الدم بالدم . . .

أوديبي

دم من ؟ . . . من الذى سفك دمه ؟

كريون

لايوس . . . قبل أن تأتى الينا كان علينا ملك يسمى

لايوس . . .

أوديبي

رف . . . أعرف . . . أعرف اسمه ولم أره
ط . . .

كريون

هذا الملك مات . . . مقتولا . . .

أوديبي

مقتولا ؟

كريون

وإن أمر الأله صريح . . . يجب أن يقام العدل وأن يثار
من القاتل . . .

أوديبي

إذنا كان هذا كل ما جئت به فهو حق . . . ولكن هذه
الجرسيمة فيما أرى قديمة العهد . . .

كريون

مضى عليها نحو سبعة عشر عاماً .

أوديبي

وهل من الميسور بعد هذا القدر من السنين ، أن
نتعقب آثارها . . وأن نميط القناع عن وجه
القاتل ؟ ! .

كريون

قال الآله : إبحث تجد . .

أوديبي

ليس أحب إليّ من البحث . . وما حياتي كلها سوى
بحث . . . وما دام الآله ، كما تقول ، هو الذي يأمرني الآن
بالبحث والتنقيب ، فلن يجذني إلا مطيعاً . . أسمعته مني
يا كبير الكهان ؟ . .

الكاهن

سمعت .. وأرجو أن تمضى إلى النهاية في بحثك عن
القاتل !..

أوديب

ها أنذا أبحث من الفور .. أخبرني يا كريون : أين قتل
لايوس ؟ .. أفي قصره ؟ أم في المدينة ، أم في خارجها ؟..

كريون

كان لايوس قد غادر طيبة ، حاجاً إلى معبد « دلف »
ليستشير الوحي ، كما كان يقول ، في أمر ولده الذي أسلمه
للموت قديماً بأمر السماء ..

أوديب (كالمخاطب لنفسه)

وأمر السماء !.. نعم .. يا لذلك الملك المسكين !.. وبعد ؟..

كريون

ليس هنالك بعد .. إنه لم يعد إلينا منذ ذلك اليوم الذي
ذهب فيه ..

أوديب

أو ما من شاهد رأى أو سمع شيئاً عما وقع له ؟ ..

كريون

كل الشهود قد طواهم الموت .. ما خلا واحداً ..
استطاع أن ينجو بجلده .. وما علمنا منه إلا أمراً واحداً ..

أوديب

ما هو ؟ .

كريون

لقد روى أن جماعة من اللصوص قطعوا الطريق على
الملك لا يوس ، وقتلوه مع حاشيته ..

أوديب

أو يجرؤ لصوص على مثل هذا الاعتداء على ملك ؟

كريون

هذا ما روى لنا ..

أوديب

ما أحسب أولئك يعتدون على الملك .. ما لم يكن أحد
هاهنا .. قد دفعهم الى ذلك دفعاً ، وحرصهم تحريصاً ، ونقدمهم
على ذلك ثمناً ..

كريون

هذا ما خطر أيضاً على بالنا في ذلك العهد .

أوديب

ومع ذلك ما فعلتم شيئاً للبحث عن القتلة أو الكشف
عن اليد التي حركت الجريمة ؟

كريون

لقد كنا في ذلك الوقت مشغولي البال ، منهوبى الخاطر ،
بكارثة أروع ، دهمتنا وأقضت منا المضاجع !..

أوديب

أى كارثة أعظم من قتل ملككم الجالس على عرشكم ؟!

كريون

أبو الهول !.. لقد ظهر في ذلك الوقت ، يقتل الناس
بالغازه ، خلف أسوار طيبة .

أوديب

نعم .. نعم .. يا لكم جميعاً من حمقى !.. كل شيء يتضح
الآن لعيني !.. إني أكاد أرى المدبر لكل ذلك .. وأعرف اليد
التي حركت .. والأرادة التي دفعت ..

الكاهن

ماذا تقول يا أوديب؟! أعد مرة أخرى ما لفظت
شفتاك؟! .

أوديب

لا شأن لك بما لفظت شفتاي!.. انكم تنتظرون مني
عملاً، وتريدون عدلاً... إن قاتل لا يوس يجب أن يقدم
اليكم.. حتى ولو كان في ذلك ما أكره... حقاً.. لقد
أصبت!.. ما كان يخطر لي على بال ان قوائم عرشي غائصة
في دماء ملك!.. وما كنت اخال من أراد ذلك يبلغ به
الأمر حد الجريمة!.. لن أتردد.. نعم.. أسامعون أتم؟!..
لن أتردد في تسليم القاتل.. لا إنقاذاً لطيبة وحدها.. بل
إنقاذاً لضميري!.. يا كبير الكهان!.. اذهب واعلن إلى
الناس اني مبادر الى تنفيذ ما جاء به كريون.. سأدفع اليهم
يا لقاتل!..

الكاهن

أتعرف يا أوديب من هو القاتل ؟ ١٤ .

أوديب

ليس من العسير عليّ أن أعرف الآن . . . اذهب
الساعة واترك الأمر لي . . . عجباً ! . . . ما بالكما قد جمدتما في
الأرض كتمثالين ؟ ١٤ .

الكاهن

أوافق أنت من أنك ستقتصر من قاتل لا يوس ؟ ١٤ .

أوديب

أتشك في ذلك أيها الكاهن ؟ . . . مهما يكن قدر هذا
الرجل فيكم ، فأني مسلمته إليكم ، لينال جزاء ما اقترفت يداه !
هذا وعدى الذى لن أرجع فيه أبداً . . . مهما يشق على نفسى
الوفاء به .. فكل عزيز على يهون أمام هذه الجريمة الشنعاء ! ..

ومنذا يطمئن بعد اليوم إلى إنسان اجترأ على قتل ملك ! . .
سأكشف عن وجهه القناع ، وأقدمه إلى العدالة ، حتى ولو
كان في ذلك وبال على ، وهلاك لي ! . .

الكاهن

معرفتكَ للجرم يا أوديب ، قد طرحت عنّا
عبئاً ثقيلاً ! . .

أوديب

أى عبء ؟ . .

الكاهن

عبء الأفضاء باسمه اليك ! . .

أوديب

أو كسبنا تعرفان ، أنتم أيضاً ، من هو ؟ . .

الكاهن

كنا نعرف .. فلقد جاء باسمه كريون ، فيما جاء به من
معبد دلف ا ..

أوديب

أو لم تدهشا عندما عرقتما المجرم ؟

الكاهن

كل الدهش يا أوديب .. فهو آخر من كان يرقى اليه
الظن ا ..

أوديب (كالتخاطب نفسه)

نعم .. ذلك الرجل الجليل القدر .. الرفيع المسكان ..
المبجل من كل إنسان ا ..

الكاهن

إنه لسكذلك حقاً .. وإنه ليحزننا أن يكون هو المقترف
لمثل هذا الأثم ! ..

أوديب

حزنى لا يقل عن حزنكما .. ولكن العدالة فوق
المراتب .. ودم القتل يجب أن يغسل بدم القاتل ..
كذلك أمرتك السماء يا كريون .. وإني لهذا الأمر مطيع ! ..

الكاهن

ما كنا نحسبك تطيع أمر السماء بهذه السرعة ! فاغفر
لنا ما سلف من سوء الظن بك .. فأنت أعظم نفساً مما كنا
نتخيل ولكن .. هل لنا أن نسألك عما أسكتك طول
هذا الزمن عن القاتل ؟ ..

أوديب

كنت أجهل كل شيء عن هذه الجريمة .. حتى اليوم .

الكاهن (ناظراً إلى كليون)

ماذا تقول يا أوديب ؟ ! .

أوديب

لماذا تتبادلان هذه النظرات ؟ . .

الكاهن

إنا لنعجب كيف تستطيع أنت أن تجهلها ؟ ! .

أوديب

وما وجه العجب ؟

الكاهن

انت يا أوديب أوثق الناس صلة بسر الجريمة ؟ . .

أوديب

إذا كنتم تقصدون جو كاستا . . . فثقوا انها لا تعلم من
أمرها شيئاً . . . وإذا كنتم تقصدون صلاتي بالقاتل أو المحرض
على القتل ، فإنه ليدهشني كيف انكم أنتم ما شككتكم فيه قط ،
طول هذا الزمن ، وهو قائم بينكم موضعاً للشقة ، مرجعاً
للمشورة ! . . .

الساكن

وهل كنت تريد أن نرتاب في هذه الذات الرفيعة بغير
دليل . . . وان نتهم هذا المقام الجليل بغير أمر من الآله أو
وحي من السماء ؟ ! .

أوديب

الآن وقد عرفتم وحي السماء ، وانكشف لكم النقاب
عن وجه القاتل ، فهاكم قراري : قد حق الجزاء على الآثم ،

لقد أراد أن يغير بيده المصائر والأقدار.. فلم يقيم أمام ارادته
شيء.. حتى ولا الضمير!.. اذهبوا إليه ولا تحجموا.. والقوا
في وجهه الاتهام صريحاً.. دون أن تأخذكم من قداسته
رعدة.. ولا من جلاله روعة!..

الكاهن (ناظراً إلى كريون)

أو تأذن لنا في ذلك حقاً يا أوديب!؟..

أوديب

مرة أخرى تتبادلان هذه النظرات!.. ما ظنك بي أيها
الكاهن!.. أو تحسبني لا أقوى على تنفيذ هذا الأمر؟.. وأنت
يا كريون!؟.. أما عهدتني قبل اليوم خليقاً بملاقة الصعاب ،
جريئاً على مواجهة الحرج!؟..

كريون

ما من أحد يفكر عليك تتجاعتك يا أوديب!.. لقد

واجهت من الخطر ما لم يستطعه أحد من أهل طيبة .. وكان
لك وحدك الظفر ! .. و-ا-كن .. ليس كل الناس مثلك .. إنك
تحمانا ما لا نطيق من الحرج ، وأنت تطلب إلينا أن نواجهه
بالاتهام ذلك المقام الجليل ! ..

الكاهن

حتماً .. لو كان في الأماكن أن تجنبنا هذا الموقف الأليم ..
لأسديت إلينا يداً لا ننساها لك ..

أوديب

تريدان أن أتولى الأمر بنفسى ؟ ..

الكاهن

نعم .

كريون

هذه ولا ريب خير وسيلة .. لقد انتهى إليك يا أوديب

وحى « دلف » ، وعرفت أن اسم القاتل قد غدا معلوماً ..
وان القصاص العاجل هو الثمن المرجو لأنقاذ طيبة .. فلم
يبق أمامك إلا أن توقع هذا القصاص سريعاً .. بلا جلبة ،
ولا ضجيج .. وعلينا نحن بعدئذ أن نعلن الأمر إلى الناس ! ..

أوديب

لكم هذا ... ولن يكلفني ذلك كبير عناء .. ولكن
الذي يزعجني ...

كريون

أسرتك ؟ ..

أوديب

أسرتي ؟ .. وما دخل أسرتي هنا ؟ ! . أجل ..
صدقت ... في الحق أرى جو كاستا شديدة الإيمان بهذا
الرجل ! .. شأنها في ذلك شأن الناس جميعاً في هذه البلاد ...
وإنها لرنه سوف تكون بعيدة الصدى ، بالغة الوقع ، يوم
يعلن اسم القاتل ... ولكن الذي أرجوه منكما هو أن
تذكرا ...

كريون

ماذا؟ . . ما سوف يترتب على ذلك من آثار تتصل
بالعرش؟ . .

أوديب

لست افكر الآن في ذلك العرش . . وقد لطخته تلك اليد
بالدماء! . . كلا . . إنما أردت أن تذكر أن ذلك الأثيم
قد ينكر التهمة ، ويرى موجهها بالزور والبهتان والتلفيق
والتزوير . . وقد يسميها مؤامرة دبرت لهلاكه ، من أجل
غاية في النفس . . يحسن أن تبقىها ها هنا . . سأدعوه
أنا . . لتجراه بما كشف عنه الوحي . . . وبعدئذ
أتولى أنا البقية . . .

الكاهن

ستدعو من؟

أوديب

قاتل لايوس . . إنه ليس بعيداً عن هذا المكان . . .
انتظرا . . سأرسل في طلبه . . .

الكاهن (ناظراً إلى كريون)

أوديب ١ . .

أوديب

عجاً ١ . . لماذا تتبادلان دائماً هذه النظرات ؟ ١ .

الكاهن

أنت تعلم أنه ليس بعيداً عن مكاننا الآن .

أوديب

ربما . . لقد كان وعد بالمجيء عند حضوركما . .

لكأنه كان يعرف ما ينتظره . . . فلقد ألقى في نفسه
الشك ، فيما سيأتي به كريون . . . ولكنني لن أمهله
طويلاً . . . لا بد من طلبه . . . (يتحرك)

الكاهن (يستوقفه)

أين تذهب يا أوديب ! . . قاتل لايرس ليس
بعيداً عنا . .

كريون

إنه ليس بعيداً عن هذا القصر .

الكاهن

إنه ، كما تعلم ، في هذا القصر الآن . . لم يبعد
عنه خطوة . .

أوديب

في هذا القصر . . الآن ؟ . . ماذا تقصدان ؟ .

الكاهن

إنك تعرف يا أوديب ما نقصد ، ومن نقصد ! . .

أوديب

قاتل لايوس في هذا القصر ؟

الكاهن

وفي هذا البهو . . كما تعلم ولا ريب .

أوديب

أفصحا ! . .

الكاهن

يا للويل ! . . أو كنت تجهل طول الوقت ما نعني ؟ .

من كنت تتهم إذن غيرك يا أوديب ؟ !

أوديب

غيرى ؟ ١ . ماذا أسمع منك ؟ . .

الكاهن

عجبا ! . . أما كنت تعرف أنك أنت يا أوديب قاتل
لايوس ؟ . .

أوديب

أنا ؟ ١ . قاتل لايوس ؟ ! . أجننت أيها الكاهن ؟ ١ . .

الكاهن

لم أجن . . ولكنه الوحي الذى جاء به كليون من معبد
دلف .

أوديب

الوحي قال إني أنا القاتل؟ .. ١٩ ..

الكاهن

تكلم يا كريون! ..

كريون

أجل .. تلك هي الحقيقة .. أروها كما سمعتها ..

ولا أزيد حرفاً على ما سمعت .. هكذا أوحى السماء :

« أوديب هو قاتل لا يوس »! ..

أوديب (في ضحكة مفتضبة)

أنا القاتل؟ ١٩ . أهذا معقول؟ ١٩ .

الكاهن

إنا حقاً لفي حرج شديد .. ولكن ...

أوديب

ومتى قتلت ملككم وأنا لم أره ؟ .. ومتى فعلت ذلك

وأين ؟ ..

الكاهن

لسنا ندرى .. وليس إلينا نحن توجه هذه الأسئلة ..

انما نحن نبلغك ما جاءنا به الوحي ...

أوديب

وحي من ؟ . وحي كريون ؟ أو وحيكم يا رجال

الدين ؟ ! .

الكاهن.

ماذا تقول يا أوديب ؟ ١٤ .

أوديب

يا لها من العوبة مكشوفة الستر .. وأحجية مهتوكة
القناع .. في بلد الألغاز والأحاجي .. يا لكم من
حمق ! .. لا يستطيع أحدكم حتى أن يجيد حبك
أحبولة من الجبائل ! ..

الكاهن

لا تسرف في مثل هذا القول يا أوديب ! ..

أوديب

صه ! .. إني أرى الأمر الآن في وضوح النهار ! ..

لقد انكشف القناع حقاً .. لا عن وجه قاتل
وجريمة .. بل عن وجه مؤامرة ومتآمرين .. لا تحسبن
يا كريون ، وأنت يا كبير الكهان ، انى من البلاهة
حتى أقع فى مثل هذه الشرك التى لا يقع فيها
صغار الطير .. أو انى من الضعف حتى أعجز عن أن
أنزل بكما وبكل من يظاهركما ، فى العلىن أو الخفاء ،
كل لون من ألوان العقاب ! ..

الكاهن

مهلاً يا أوديب ! ..

أوديب

إنى ما أثبتت لكم بعد انى خليق ان اسمى بطلاً ! ..

ان قهرى لوحش ، لن يقاس بذلك البأس الذى سأقهر
به الخونة ! ..

كريون

من هؤلاء الخونة ؟

أوديب

أنت على رأسهم يا كريون ! .. أيها الطامع فى عرشى ! ..
لقد غرر بك هؤلاء الكهان .. ولكنى سأجعل
منكم جميعاً مهزلة يضحك منها الناس ! ..

كريون

كفى يا أوديب ! .. إني أمتنع من أن تتهمنى بالخيانة ! ..
تذكر انى شقيق زوجك .. وانى لا أوديك أبداً

ولا أودى جوكاستا من أجل مطمع .!. لقد كان السلطان
في يدي قبل أن تقدم علينا . . فنزلت لك عنه ،
طلباً لمنفعة الشعب ، وطاعة لنصيحة أهل القداسة
والألهام . . .

أوديب

وأنت اليوم تنقضّ عليّ ، بحجة إنقاذ الشعب أيضاً ،
وطاعة لنصيحة المحبين لك من رجال الدين .!. .

الكاهن

لا ترسل القول جزافاً يا أوديب .!. إن رجال الدين
يعرفون أن عروش الملوك ترفع وتخفض بيد الآله ،
لا بأيدي البشر . . وما كان لنا أن نأتى إليك في
هذا الأمر العظيم ، إلا ونحن نعلم أن إلهنا قد
أنزل اللعنة بهذه الأرض ، وأنه قد أوحى إلينا أن

نزول أسبابها ، ليرفع غضبه عنا . . ولقد وعدتنا
أنت بالعون ، وبتنفيذ أمر الآله . . ولقد جئناك
به ، ونحن نذوب ألماً وحرماً . . وكان عليك أن
تتلقى إرادة السماء بإذعان . . لا أن تلقى علينا رعدك
وبرقك ، لتخفي صوت الحق الذي هبط من أعلى !..

أوديب

صوت الحق ١٤. ما هو صوت الحق هذا الذي
تسمعونه أتم ولا أسمعهُ أنا ١٤.. أليس لي مثلكم أذنان
في رأسي ١٤.

الكاهن

صوت الحق يا أوديب ، لا يسمع بالأذن ولا بالرأس . .
ولكن . . بالقلب !..

أوديب

نعم .. بمثل هذا الكلام ، أيها الكاهن ، تريد أن
تلقى في روعي انى بعيد عن سمائكم .. وانى موضع
لعنتها ، ومهبط غضبها .. وانها إنما أرسلت الطاعون
على هذه الأرض ، لأنى فيها مقيم .. ولماذا أنا ملعون
من الآله ؟.. ألانى لا أتقبل ما تنسبوننه إليه ، إلا بعد
بمحت يرضى عقلى ؟.. لو قلتم ذلك وجرؤتم عليه ، لما
وجدتم منى اعتراضاً .. ولسكنكم تقولون شيئاً يلائم
خطتكم المبيتة : تقولون إنى ملعون من السماء لأنى قتلت
لايوس ! وان الدم الذى دنس طيبة وابتلاها بالوباء ،
لا يغسله غير دم القاتل !.. يالهها من مؤامرة !..
يالهها من مؤامرة !..

الكاهن

إن الغضب لاشك قد أعماك يا أوديب !.. لقد
بلغناك ما جاء به الوحي .. فتدبر أمرك !..

أوديبي

إن الأمر لا يحتاج إلى طويل تدبير . ١ .

الكاهن

لك من الوقت ما تشاء . . . ولم يبق لنا نحن إلا
أن ننصرف . . .

أوديبي

تنصرف ؟ ١٤ . أو تحسب من يتفوه بما تفوهتما به
اليوم ، يستطيع أن ينصرف بسلام ؟ ١٤ .

الكاهن

ماذا تعني يا أوديبي ؟

أوديبي

أيها الكاهن ! .. إنك لم تعرف بعد أوديبي ! .. هذا

الذي اجترأت على وصفه بالقاتل ، وزعم
أني أرض طيبة بالدماء! .. لن تنصرف بسلام
الكاهن .. ولا أنت يا كريون! ..

كريون

أوديب! ..

الكاهن

لن تنصرف بسلام!؟

أوديب

لم يبق أمامكما غير طريقين ، تستطيعان أن تنصرفا إلى
أيهما شئتما . الموت أو النفي! ..

الكاهن (وكذلك كريون في صيغة)

الموت أو النفي!؟

أوديب

إن الأمر لأن يتأمر على العرش غير القتل من عقاب! ..
ولكني أمنحك الخيار .. راقه مني بكما .. وكان الحزم
يقضى أن أكون شديد المراس .. وأن أقتلع
جنودك من الحياة ، كما يقتلع عشب زن خبيث ..
ينفت فيما حوله الفوضى والفساد .. لقد مضى في
أمر كما حكى : إما النفي وإما الموت ! .. النفي
أو الموت ! ..

اعلمه بفضل الحقيقة
التي لا تترك الحياة
تأخذها
تأخذها

الفصل الثاني

« ساحة أمام القصر . . . جوقة
الشعب محتشدة . . . وقد وقف
منها أوديب والكاهن وكريون
موقف المائلين بين أيدي
قضاة »

أوديب

يا أهل طيبة ! ! . إنكم الآن أمام جريمة ضد
شخصي وعرشي . . اقترفها هذان المتآمران ! . ولقد
قضيت فيها بالحكم الذي أراه عادلاً . . . ولكني إن
أنفذ حكمي ، حتى أقوم بتحقيق جرمها في حضوركم . .
فأنا لا أحب أن يعميني الغضب عن الحق ! . سأكشف

عن وجه الحقيقة بيدي الآن . . لتبصروا
إن أرم سافراً . . .

الجوقة

من كان يظن يا أوديب أن كريون وكبير الكهنة
يتآمران عليك ؟ .

أوديب

أنت في سذاجتك أيها الشعب لا ترى ما يفسج في الظلام ! . .
ولكني الساعة ممزق لك الستار . . لترى في النور،
تلك الأيدي الأثيمة التي أرادت أن تلتطخ عرشك
بالأثم والدم ! . .

الجوقة

الويل لكل من يمس شعرة منك ، أيها الملك ! . .

نحن لن ننسى أبداً أنك البطل الذي أنقذنا من أبي
الهول ! . . اضرب أعداءك يا أوديب ، بلا رحمة . .
ونحن معك ! . .

الكاهن

ما أبرعك يا أوديب في تأليب الشعب علينا ! . . وزجك
بنا في موقف المجرمين ! . . وليس لنا من جرم
إلا إخبارك بما أوحى به السماء من أمر ، لتزيل
عن طيبة هذا الطاعون ! . .

أوديب

أما زلت أيها الكاهن الخائن تسمى هذه المؤامرة
وحياً من السماء؟! . .

الكاهن

لا تغضب يا أوديب .1. وانت الذى قلت الساعة إنك لا
تريد أن يعميك الغضب عن الحق .. تمسك
بالحلم ، وتوسل بالأناة ، واشرع فى التحقيق الذى
وعدت به .. واسرع فيه ، حتى لا تشغل الشعب به ،
عما يعانیه من شقاء .1..

أوديب (للجوقة)

أترى حقاً أيها الشعب انى أشغلك بهذا التحقيق عما
أنت فيه من شقاء .1؟

الجوقة

امض يا أوديب فيما شرعت فيه .. واكشف لنا
الستار .. فنحن مشوقون الى رؤية ما وراءه من
أمور ..

أوديب

أرأيت أيها الكاهن الآثم كيف طاش سهمك ! ..
تلك هي إرادة الشعب ! ..

الكاهن

يا له من ساذج حقاً .. هذا الشعب ! .. نعم .. هذا
الشعب الذي يطعم بالخيال لا بالحقائق ! .. لقد نسي
الطاعون الذي يفتك به .. ونسي أنك لم تجد علاجاً

لأنقاده . . ونسى وحى السماء الذى كان ينتظر
مجيئه . . ولم يذكر إلا شوقه إلى رؤية أوهام ، تزعم له أنك
رافع عنها الستار ! . .

أوديب

لا تهن الشعب أيها الكاهن ! .. إنك مائل أمام
محكمته .. وهو الذى سيدينك ، ويقرنى على عقابك ،
عندما يرى جرمك عارياً ، وقد جردتك من سرك ! ..

الكاهن

افعل يا أوديب وعجل ! . . . إنك لم تنزل البطل الذى
يفتن الناس بكشف الأسرار ، وحل الألغاز ،
ولكن الشعب سوف يعلم انى لا أخفى سرأ ، ولا
أحمل لغزاً . . إنما أردت صادقاً ان استعين بالآله

على طرد الطاعون من أرضنا ... ولقد باغتك بما
جاء به الوحي .. وتلك كل جرمتي عندك ! ..

أوديب

كلا .. أيها الكاهن .. جرمتك أنت تعرفها،
كما يعرفها كليون .. ومن يظاهر كما في الخفاء ..
ولن أتولى أنا عرضها أمام الشعب .. بل أترك
لكم هذا الشرف .. حتى لا يقال إنى أسأت
النقل ، أو تعمدت التحريف ! .. تكلم أنت أيها
الكاهن بما لديك .. أو دع شريكك يتكلم ! ..

(الملكة جوكاستا

تخرج من القصر)

الجوقة (ملتقطة)

الملكة جوكاستا ! ..

جوكاستا

ألى أن أحضر هذه المحاكمة؟ .. إن المهمة التي توجهها ،
يا أوديب ، إلى هذين الرجلين لخطيرة ..!

كريون

أتصدقين يا جوكاستا أن أخاك كريون يطمع في
عرش زوجك؟! ..!

أوديب

لست أنا الذى يحاكم أخاك يا جوكاستا . . . بل
الشعب هو المحكمة . . . إنما أنا رجل يتولى تحقيق
الجريمة . . . وسترين الآن بعينيك ، كما سيرى الناس
من حولك ، ما يسفر عنه التحقيق! ..!

كريون

لقد قضى في أمرنا بالموت أو النفي !..

أوديب

ولن أرضى بأخف من هذا العقاب أبداً ، لمن يتأمر
على العرش !.. فهذه مؤامرة لو تمت ، لكان من
عواقبها النفي لى أنا أو الموت !..

جوكاستا

يجب أن يكون الدليل دامغاً يا أوديب ، قبل أن
تنفذ فيهما هذا الحكم الصارم !..

أوديب

ها هو ذا التحقيق يجرى علانية . . أمامك
يا جوكاستا ، وأمام الناس جميعاً . . وسأذهب

فيه إلى الأغوار ، وأنقب في الأعماق . . لأخرج
لكم في نهاية الأمر ، الحقيقة ناصعة لا يشوبها إبهام . .

الجوقة

امض في عمالك يا أوديب . . فأنت خير من يميظ
اللتام عن سر الأشياء ! . .

أوديب

وددت أن يجرى الأمر في حضور ترسياس . .
وأنا أعرف منزلته فيكم . . . ولقد بعثت في طلبه . . .
قبل خروجي إليكم . .

الجوقة

نعنم الذي صنعت يا أوديب ! . . إن وجود هذا
الشيخ المقدس بيننا الساعة ، لما يزيد في اطمئناننا . .

جوكاستا

ما من أحد مثلى يريد أن يدخل قلبه الاطمئنان ..
فأنا أعرف الناس بكريون .. فهو أخى الذى نشأت
معها .. وان طباعه المستقيمة ، وخلقها السوى ،
وضميره النقي ، لما يلتقى فى نفسى الدهش لفعليته .. !
إنى لا أعرف بعد كيف تأمر ضد العرش ! .. كل
ما انتهى إلى ، هو أنه موصوم بهذا الجرم .. ولكنى
لست أدرى كيف أقدم على ذلك ! ؟ .

أوديب

ستعرفين الآن .. لا من فى .. ولكن .. من فمه
هو ..

(يظهر ترسياس
يقوده غلامه)

الجوقة

ها هو ذا ترسياس قد أقبل ..

أوديبي

أفسحوا له طريقاً! ..

ترسياس

إني أعرف لماذا أتمها هنا محتشدون! .. فذار

أن تسألني رأياً يا أوديبي ، أو تطلب إليّ كلاماً! ..

أوديبي

لن أفعل .. إنما أردت أن تكون حاضراً هذه

المحاكمة .. لأن مثلك لا ينبغي أن ينسى في الأحداث

الجسام .. فاصغ إلى ما سيقال الآن ، وافهم ما تنطوي

عليه هذه الأقوال من مرمى! ..

~~ترسياس~~

إني مصغ يا أوديبي! ..

أوديب

والآن إليكم أيها الناس كيف تأمر هذان الرجلان! ..
لقد وعدت أن أترك المتهمين يبسطان الأمر .. توخياً
للمعدل .. ولن احث بالوعد .. هلم يا كبير
الكهان .. تكلم أنت أولاً ..

الكاهن

ماذا أقول؟ .. لقد قذفت بنا يا أوديب في هذا
الموقف المخجل! .. وألحقت بنا وصمة التهمة ..
وعرضتنا لأنظار الشعب خونة آثمين ، قبل أن
نعرف ما هو ذنبنا؟! . ليس عندي كلام غير
ما تعرف ويعرف الناس .. لقد ارتفعت شكواكم
يا أهل طيبة ، من ذلك الطاعون الذي فتك بكم ،

فلم نر حيلة لدفعه عنا إلا أن نطلب وحي السماء . .
فرأينا أن يذهب إلى معبد دلف رجل من بيت الملك ،
مشهود له بالحزم في الرأي والصلابة في الحق والاستقامة
في المسلك . . وكان هذا الرجل هو كريون ، كما
تعلمون . . فهل ترون في هذا العمل بأساً أو عليه
غباراً ؟ . .

الجوقة

كلا .

الكاهن

ولقد ذهب كريون إلى معبد دلف . . ثم عاد يحمل
ما أوحى به الآله من قول في هذا الطاعون وعلته . .
ولم أشأ أن يفضى بما جاء به . . إلا إلى الملك . .

انفراد .. حرصاً منا على حبس الأمر في أضيق
حدوده ، ورغبة منا في تجنب إثارتكم ..

الجوقة

ما الذى جاء به كريون من وحى السماء ؟

الكاهن

على كريون أن يفضى به اليكم ، إذا شاء . .

الجوقة

تكلم يا كريون ! ..

كريون

إنه شيء مروع . . لا يحق لى أن أذيعه فيكم . . إلا

بأذن من أوديب ! ..

أوديب

إني آذن لك في أن تقول هنا كل شيء .

كريون

هاكم ما جدت به . . انقله إليكم بنصه : « السما
غاضبة ، لأن أرض طيبة ملطخة بالدنس . . ملكها
لايوس مات مقتولاً . . ولم يثار بعد من قاتله . .
ولن يرفع عن طيبة الغضب ، إلا إذا غسل ذلك الدم ! . .

الجوقة

ملكنا لايوس مات مقتولاً ؟ ! .

أوديب

ليس هنا وجه العجب . . أيها الشعب . . ولكن
سلوه عن القاتل ؟ . .

الجوقة

من القاتل ؟ .. من القاتل ؟ ..

كريون

ثقوا أنه يؤلمني أشد الألم أن اللفظ اسمه .. وانى عندما
عرفته أول مرة أصابني من الروع مالا قبل لي بوصفه ..
ولكن أوديب قد أعماه الحرص والخوف ، فنسى
منزلته من نفسه ، ومكانى منه ومن أسرته ، كما نسي غابر
أيامى التى أنفقتها فى نصرته .. وخلقى الذى يابى مارمانى
به .. وطبعى الذى ينفر بما توهمه عنى ...

الجوقة

من قاتل لايوس يا كريون ؟ .. من القاتل ؟

كريون

لا ترهقوا في بذكر هذا الاسم العزيز .. اطلبوا إلى

الملك المائل أمامكم أن يذكره لكم! ..

أوديبي

بل اذكر انت اسمه بفمك يا كريون! ..

الجوقة

اذكر لنا يا كريون اسم القاتل! ..

كريون

هو .. أوديبي! ..

الجوقة

أوديب هذا ؟ . أوديب ملكنا ؟ . هو قاتل لا يوس ؟

جوكاستا

ما ذا أسمع منك يا كريون ؟ .

كريون

هكذا أوحى السماء يا جوكاستا ! ..

الجوقة

أوديب هو القاتل ؟ . القاتل هو أوديب ؟ .

أوديب

أرايتم يا أهل طيبة . . كيف دبرت المؤامرة ؟ أهل

تتصورون انى أقتل لا يوس .. وأنا لم أره؟! . ألا
تذكرون انى عندما هبطت أرضكم كان عرشه خالياً ،
ومكانه مجهولاً؟! ولكنهم يريدون أن أكون أنا القاتل ..
ليحق على بعدئذ الموت أو النفى .. لأنهم يضيعون
بحكمى .. ويكرهون ، لغرض فى أنفسهم ، أن
أثبت فىكم ملكاً ..

كريون

أسأل السماء أن تصب على اللعنة .. لو كان فى نفسى
مثل هذا الغرض الخبيث! .. وانى لأقسم .. أقسم انى
ما زدت شيئاً على ما سمعت ووعيت من وحى معبد
دلف! ..

جوكاستا

ألى أن أدلى برأى فيما شجر بينكما من خلاف؟! !

لست أرى فيكما كاذباً ولا باغياً .. ما من شك عندي
في أن كريون قد سمع ما جاء به .. وقد نقله اليك
يا أوديب ، وهو خالص النفس ، نقي الضمير .. ولكن
وحي السماء أرفع مكاناً من أن يدركه البشر في كل
حين .. قلما استطاع بشر أن يحسن فهم الوحي الألهي ! ..
إن إرادة الآله لها من المرامي ما لا يتسع لها ذهن
إنسان .. فلن يكون اذن لمخلوق سلطان كامل على الغيب ،
ولا قدرة كاملة على التنبؤ .. وفي يدى الدليل : لا يوس ! ..
لقد خبرته نبوءة انه سوف يموت بيد ابنه .. ابنه
الذى هو من صلبه ومن بطنى .. ! .. واخال ترسياس
الحاضر هنا يذكر خبر تلك النبوءة ! .

ترسياس

اذكر ذلك أيتها الملكة .

أوديبي (في تهكم خفي)

حقاً .. إنه خير من يذكر ذلك ! ..

جوكاستا

ما الذي حدث بعد ذلك ؟ . . لقد هلك ذلك الابن في

المهد . . . فقد دفع به أبوه ، عقب ولادته بأيام ثلاثة ،

إلى راع حمله مغلول القدمين ، ليهامكه على جبل أجرد . . .

أما لا يوس فقد لقي حتفه ، كما تعلمون ، خارج هذه

الديار . . . سطا عليه ، كما أنبئت يومئذ ، جماعة من

الصوص ، قتلوه في موضع ناء ، عند ملتقى طرق ثلاث . . .

هكذا مات الأب ، بيد غير يد ابنه ! . . فأين ذهبت

النبوءة إذن ؟ . . إن الوحي كما ترون لا يصدق في كل

الأحوال . . والسماء لا تهمس بكلامها لكل الأذان ..

إنها أحفظ لسرها مما تظنون . . . ولغتها لا يفهمها كل
إنسان . . . وهي تؤثر أن تسفر عن نواياها بالأفعال لا
بالألفاظ . . . إن القول هو لغتنا نحن البشر . . . أما لغة الآله
فهى الفعل . . . إياكم أن تتخذوا مما جاء به كيون
دليلاً . . . إنما هو شيء سمعه . . . لا ينبغي أن يكون
له أثر . . . أو أن يرتب عليه قرار . . .

أوديب

أرجو يا جوكاستا أن تكون أذنى قد أساءت
السمع . . .

جوكاستا

لماذا ؟ . . . ما هذا القلق على وجهك ؟

أوديب

لا شيء . . . إنما هو الموقف من غير ريب . . . وما
يثار فيه من غريب الكلام ، وعجيب الاتهام ، قد
أوقعني في الخلط . . .

جوكاستا

أفصح يا أوديب ! . . . واكشف عما خالجك . . .
أتراني قلت شيئاً مسك عن غير قصد ؟ . إن كثيراً
من الكلمات الجوفاء تندس أحياناً كالغوغاه في مواكب
المعاني ! . . .

أوديب

خيل إلى أني سمعتك تقولين إن لا يوس قتل عند ملتقى
طرق ثلاث ! . . .

الملك

جو كاستنا

حقاً . . . ذلك قلته .

أوديب

قلت ذلك ؟ . . . قلت ذلك ؟ .

جو كاستنا

ماذا دهاك يا أوديب ؟ . . . نعم . . . ذلك ما انتهى إلى

علمي في ذلك الحين .

أوديب

وأين كانت تلك الطرق ؟ . . . في أي أرض ؟ . . .

جو كاستنا

في أرض يقال لها « فوكيس » . . . حيث يفترق الطريق إلى

سبيلين . . . أحدهما يؤدي إلى «دوليا» والآخر
إلى «دلف» . . .

أوديب

وفي أي عهد وقع ذلك ؟ . .

جوكاستا

كل الناس يعرفون أن ذلك حدث قبل جلوسك
على العرش بزمن قليل .

أوديب

أيتها السماء ! . . أيمكن أن يكون ذلك حقاً ؟ . . !

جوكاستا

ماذا يا أوديب ؟ . . ما الذي يشغل بالك ، ويلقى هذا

الاضطراب في نفسك ؟ ..

أوديب

لا تسأليني شيئاً . . . أخبريني : كيف كان لا يوس ؟ .

في أية سن كان ؟ . . .

جوكاستا

كان رجلاً فارعاً . . . فضى الشعر أجعده .. أما وجهه ..

ففيه منك بعض شبه . . .

أوديب

أترى حقاً لعنة السماء قد صبت عليّ ؟ ! .

جوكاستا

ما هذا الذي تقول يا زوجي ؟ ! . إنك لتخيفني ! . . .

أوديب

أتري فيما جاء به الوحي بعض الحقيقة ؟ ! . أخبريني أيضاً
بشيء أخير . . . حتى لا يبقى في نفسي خليجة شك ! . . .

جوكاستا

إنك تفزعني ! . . سأفضي اليك بكل ما وصل إلى
علي . . .

أوديب

كيف كانت حاشية الملك لا يوس ؟ . . كم كان عدد
حراسه ؟ . . .

جوكاستا

لم يكن يحرسه في رحلته أكثر من خمسة رجال . . .

ورائد في الطليعة . . ولم تكن هنالك غير مركبة
واحدة، ركب فيها الملك . . .

أوديب

كفي يا جوكاستا ! . . كل شيء اتضح لعيني الآن
واستبان . . لكن . . من الذي أخبرك بكل هذا ؟ . .

جوكاستا

خادم . . هو الوحيد الذي عاد حياً من ذلك السفر .

أوديب

ألم يزل قائماً بالخدمة هنا ؟

جوكاستا

كلا . . لقد سألتني أن أعفيه من خدمة القصر ، عندما

رآك قد حلت في مكان سيده ، وجلست على عرش
ملكه . . ولقد ذهب فيما أعلم إلى البرية ، ليعمل راعياً ،
بعيداً عن هذه المدينة . . .

أوديب

أنستطيع إحضاره في الحال ؟

جوكاستا

نستطيع . . ولكن لماذا تريد ذلك ؟

أوديب

آه . . يا زوجتي العزيزة ! . . أخشى أن أكون قد بحت
بأكثر مما يجوز . . . يجب أن أرى ذلك الرجل
أولاً . . .

جوكاستا

ستراه... ولكن.. ألا يحق لي يا أوديب أن أعرف
ذلك الذى يشيع فى نفسك كل هذا القلق والاضطراب؟! ..

أوديب

ستعرفين.. أرسلوا فى طلب ذلك الراعى! ..

الجوقة

لينطلق أحدنا كالريح إلى البرية فى طلب الراعى! ..

(يجرى بعض الحاضرين
من الشعب إلى الخارج)

جوكاستا

ما الذى تريد أن تعلم منه يا أوديب؟ ..

أوديب

هذا الراعى هو أملى الوحيد! .. أرجو أن اسمع منه
قولاً يخالف ما تفوهت أنت به! ..

جو كاستا

يخالفه فى أى موضع!؟

أوديب

لقد قلت إن القاتل جماعة من اللصوص .. وإينه هو
الذى ذكر لك ذلك . . . لا بدلى من سماع شهادته ،
ليجلو هذا الأمر المهم : أكان القاتل جماعة حقاً ، أم
كان فرداً واحداً .!؟ . على هذه الشهادة يتوقف الحكم
ويتقرر المصير! ..

جوکاستا

مصير من ؟ مصير من يا أوديبي ؟ ..

أوديبي

مصيرى ! .. هنالك شيء أخفيته عنك يا جوکاستا ..
كما أخفيت انت عنى خبر هذه الظروف التي مات فيها
لايوس ! ..

جوکاستا

اني لم أخف عنك شيئاً .. تلك تفاصيل ما كانت تخطر
على البال إلا ان يدعونا إلى ذكرها داع ، أو يدفعنا
إلى تقلبها دافع . . وما هي بعد بالموضوع الذي يجمل
بني ان أحادثك فيه بلا ضرورة ! ..

أوديب

أنا أيضا ما تعمدت إخفاء شيء . . . ولكنها حادثة
عبرت . . . ما علقت عليها أهمية في حينها ، وما أقيمت
اليها بالآ . . . لأنني ما عرفت شخص من قابلت . . .

جوكاستا

من قابلت يا أوديب؟ . . .

أوديب

رجل في مركبة . . . يجرسها نحو خمسة رجال . . .
اعترضوني في أرض فوكيس . . . في مفترق الطرق
بين دوليا ودلف . . . فنشب بيننا خلاف فيمن يمر أولاً . . .
وتطور الخلاف إلى شجار . . . ودفعتني حماسة الشباب
يومئذ وفورته الى العنف ، فرفعت هراوتى في وجهه

الرجال ، واشتبكنا في معركة .. ظهرت فيها عليهم ،
ولكن ضربة من هراوتى ، فيما يبدو ، طاشت فأصابته
رأس من كان في المركبة ... وانطلقت أنا بعدئذ في
سبيلى ، حتى دنوت من أسوار طيبة ، ولقيت الوحش ..
وكان من أمرى ما تعلمون ؟ .. فاذا كان ذلك الرجل
صاحب المركبة هو ملككم لا يوس .. فأنا إذن ضاربه
وقاتله ...

جوكاستا

إلهى .. إلهى ! ..

أوديب

ولكنى كنت بمفردى .. وأنتم تقولون ان قاتل لا يوس
جماعة من اللصوص ... لا بد من إيضاح هذا الأمر .. قبل
أن أصدر فى نفسى حكماً ! ..

الجوقة (تلتفت)

ها هو ذا الراعي قد جاءوا به ...

(يدخل بعض الناس ممن ذهبوا في طلب الراعي
وهم يقودون شيخاً هرمًا)

أحد الناس

ماكدنا نخطو قليلاً . . حتى صادفناه مقبلاً . . فقد
بلغه ، فيما قال ، خبر المحنة ، فجاء يصلي مع أهل طيبة ،
ويضرع معنا إلى السماء ، كي تذهب عن أرضنا هذا
الوباء ! . .

الجوقة

يال له من شيخ هرم ! . .

أوديب

أدن منى أيها الرجل ! . . وأجب عما أطرحه عليك من
أسئلة . . أكننت فى خدمة الملك لا يوس ؟ . .

الراعى

نعم . . وفى بيته ولدت ونشأت . . .

أوديب

وماذا كان عملك لديه ؟ . .

الراعى

أرعى ماشيته .

أوديب

أتذكر كيف قتل لا يوس ؟ . .

الراعى

ذاك حادث قديم . . وقد ضعفت منى الذاكرة . . ووهن
الذهن . . .

أوديب

تذكر . . . تذكر . . . من قتل لا يوس ؟ . . .

الراعى

قتله . . فيما أذكر . . فقى قوى جلد . . .

أوديب

كيف ؟ . . .

الراعى

زحم مركبة الملك عند مفترق الطرق بين دلف ودوليا . .
وقام شجار بينه وبين الحراس من الحاشية . . . فتغلب عليهم
وقتلهم . . وأصابته ضربة منه رأس الملك فأصمته ومات . .
وهربت أنا بجملدى من المعركة . . ولم ينبج غيرى . . .

أوديب

أما كانوا جماعة هم الذين اعتدوا على الملك؟ ..

الراعى

كلا يا مولاي .. كان رجلا فرداً ...

أوديب

لقد انجلى الآن كل شيء .. لى ولسكم .. وانحسر النقاب
عن وجه القاتل ... صدقت يا كريون ! .. وصدق الوحي
الذى جئت به من معبد دلف .. التمس منك المغفرة ..
ومن كبير الكهنة .. فقد أثمت بسوء ظنى فيكما .. وبتوجيهى
اليكما ذلك الاتهام الباطل ! .. قاتل لا يوس بين أيديكم ،
أيها الناس ! .. لن أحاول دفاعاً عنه .. فاحكموا فيه بما
ترون .. وأنزلوا به ما يستحقه من عقاب ! ..

جوکاستا

أوديب ! .. أوديب .. لا تسرف هكذا في اتهام
نفسك ! .. فأنت لم تتعمد القتل .. ولم تكن تعرف من
المقتول ! ..

أوديب

لا تدافعي عني يا جوکاستا .. فأنت بضعة مني ..
وما يحسن بنا أن نقيم من أنفسنا مدافعاً عما اجترأنا
من ذنوب ! ..

جوکاستا

مادمت تأبى عليّ وعلى نفسك هذا الحق .. فها هنا
ترسياس يتولى عنك الكلام ! ..

ترسياس

إذا احتجت إليّ يا أوديب ، فأنا منك غير بعيد ! ..

أوديب

كلا . . . بل ابق في مكانك ياترسياس . . . ولا تتدخل . . .
أمرى بيّن . . . لقد ارتكبت جريمة ونسيتها . . . ولكن
السماء لم تنسها . . . إنها تريد الآن الثمن . . . وتطالب
بالجزاء . . . ومهما يشك « العقل » ، في حقيقة الصلة بين
تلك الجريمة وهذا الوباء . . . فإن « الشرف » لا يشك في
حقيقة الواجب الملقى على كتفي . . . واجبي الآن هو أن
أتحلى عن عرش رجل . . . مات بيدي . . .

جوكاستا

مات بيدك .. على كره منك . . . ما أحسب السماء تطالبك
فيه بهذا الثمن الفادح . . .

أوديب (كالمخاطب لنفسه)

إن السماء لا تظلم أبداً . . . لأنها ميزان ، لا يعرف الخلل

ولا الميل ولا الانحراف ولا الهوى .. وما نراه منها جوراً
ليس إلا عجزنا عن رؤية ما توارى في الضمائر . . . ولهونا
عن تذكرة ما علينا من حساب . . . إنها تضيف إلى الذنب
الظاهر وزر الذنب الخفي ! . . . لقد كذبتُ على
الشعب . . . لقد خدعتُ الشعب . . .

ترسياس (صائحاً مقاطعاً)

كفى . . . كفى ! . . .

(يظهر عندئذ شيخ أحنى ظهره الهرم)

الشيخ (صائحاً)

أيها الناس ! . . .

الجوقة (تلتفت)

من هذا الشيخ الصاعد من البرية ؟ ! . . .

الشيخ

دلوني على قصر أوديب . . .

الجوقة

هذا هو قصره أمامك . . . من أنت أيها الغريب ؟
وماذا تريد ؟ . . .

الشيخ

أنا رسول من كورنت . . . جئت برسالة إلى أوديب .

أوديب

ها أنذا أيها الرجل . . . اقترب . . . ما خبرك ؟ . . .

الشيخ

خبر سار . . . وان كان فيه ما قد يثير فيك بعض الشجن . . .

أوديبي

تكلم أيها الرسول .. واخبرنا بما تحمل إلينا من نبأ ..

الرسول

أهل كورنت يهدون إليك التحية، ويسألونك أن تكون
عليهم ملكاً ..

الجوقة

ملكاً؟! . على أهل كورنت؟! .

جوكاستا

يا للسماء .. التي تقطع وتصل! . رأيت كيف تظلم نفسك
يا أوديبي! . لقد أردت التخلي عن عرش طيبة .. فما
هو ذا عرش يأتيك من السماء! ..

أوديب (للسؤل)

وَأين ذهب ماسككم بوليب؟

الشيخ

مات وثنوى فى التراب ...

أوديب

بوليب مات؟ .. كيف؟ . أمرض مات أم بحادث

عرض؟ ..

الشيخ

مرض الشيخوخة .

أوديب

لن أنسى أبداً أنه كان لي في مكان الأب الرحيم! ..
وماذا جرى للملكة ميروب؟ ..

الشيخ

لقد أقعدها الكبر .. وهي في طريقها إلى اللحاق
بزوجها! ..

أوديب

لقد أحببتني هي الأخرى كما لو كانت لي أمأ ... يالها
من بارين كريمين! . اني لأذكر فجيعةتهما يوم أخبرتهما
بكشفي حقيقة الصلة التي تربطني بهما .. وان لست
سوى طفل لقيط تبنيه .. لقد حاولا جاهدين ان
ينتزعا من رأسي هذه الحقيقة .. ولكنني أبيت أن

أقبل حنانهما كما تقبل الصدقة ... أرجو أن يكونا
قد نسياني ، بعد فرارى من كورنت .. وأن تكون
الأيام قد شغلتهما عنى ...

الشيخ

كلا .. لم ينسيك .. ولقد أرسلنا خلفك ، فى ذلك
الحين ، من يبحث عنك .. واسكنك اختفيت .. لقد
مات بوليب وهو يذكر اسمك .. ويوصينى أن أجد
فى البحث عنك ، وأن أعرض عليك من بعده الملك ..

أوديب

وكيف عرفت أنت مكانى ؟ ..

الشيخ

خطر لى آخر الأمر أن أبحث عنك فى مسقط رأسك ..

فسرت قدماً إلى طيبة .. فلها دنوت من أسوارها
علمت انك انت اليوم ملكها ...

أوديب

ومن قال إن طيبة هي مسقط رأسي؟! .

الشيخ

إني أعرف ذلك .. لأنني أنا الذي التقطك وانت
طفل ، وسلمك إلى بوليب ...

أوديب

أنت؟! . التقطني؟! . وأين التقطني أيها الشيخ؟! .

الشيخ

في جبل ذي شجر .. بالقرب من سبتا يرون !!

أوديب

وماذا كنت تصنع هناك؟

الشيخ

كنت أرعى الماشية ...

أوديب

وكيف وجدتي؟ ..

الشيخ

تلك الندوب التي في قدميك تخبرك ..

أوديب

حقاً .. تلك ندوب قديمة .. نشأت عليها .. وما أخبرني

أحد قط بشيء عن أمرها وسرها ومنتشها! ..

الشيخ

إنها من أثر قيد! .. لقد كنت مقيداً من

رسغيك! .. وأنا الذى فك قيدك! .. لهذا سميت

«أوديبي» أى مورم القدمين! ..

أوديبي

يا للسماء! .. ومن ذا الذى كان قد فعل بي ذلك؟! أهى

أهى التى ولدتنى ، أم أبى الذى لفظنى؟! ..

الشيخ

لست أدرى من ذلك شيئاً .. سل ذلك الذى سلك

إلى! ..

أوديبي

سلمنى إليك؟! .. أو لست انت إذن الذى عثر بي؟! ..

الشيخ

بل راع آخر .. هو الذي عهد بك الى .. ووضعك في
يدي .. على تلك الصورة ا ..

أوديب

راع آخر ا .. من هو ا .. أتستطيع أن نخبرنا من
كان ذلك الراعي ا ..

الشيخ

أذكر أنه قال لي في ذلك اليوم إنه من رجال لا يوس ا ..

أوديب

لا يوس ا .. ملك طيبة السالف ا ..

الشيخ

أجل .. الملك لا يوس .. لقد قال لي ذلك الراعي
إنه من خدامه ..

أوديب

خدماه كثيرون من غير ريب .. أو لم يزل حياً،
ذلك الخادم الذى تعنيه ؟ .. أفى إمكانى أن
أراه .. وأسأله .. وأعلم منه .. ؟ .

الشيخ

هذا أمر يجيبك عنه أهل طيبة .

أوديب

أيها الناس ! . خبرونى ! . ألم يسمع أحدكم شيئاً عن
ذلك الخادم الذى تتحدث عنه ! . أما من واحد منكم
رآه فى المدينة أو فى المروج ؟ . فليتكلم منكم من يعلم ! . .

لا تلتزموا الصمت ! . . ها نحن الآن أولاء قد وصلنا إلى
مفتاح السر . . سر مولدى . . سر حقيقى . . الذى طالما
نقبت عنه ، وجريت خلفه . . .

الجوقة

سل الملكة جوكاستا . . فربما كان لديها علم بأمر ذلك الخادم
فى بيت لا يوس ؟ ! .

أوديب

زوجى العزيزة ! . . ألا تعلمين شيئاً عن ذلك الخادم ؟ . .

جوكاستا (شاحبة الوجه)

أى خادم تتحدثون عنه ؟ . . لست أعلم شيئاً . . ولا ينبغي
أن نعلم . . إنك يا زوجى كثير الأصغاء إلى كل ما يقال . .
دع هذا الأمر ، واغلق هذا الباب ، فلن تظفر من ورائه
بطائل ! . .

أوديب

عجباً يا جوكاستا ! . . كيف أغلق هذا الباب ، وقد بدأ يتفتح
عن السر الذي أتوق إلى معرفته ؟ ! .

جوكاستا

لا .. لا يا أوديب ! . . لا تحفر كل هذا الحفر بحثاً عن
سر .. إنما أنت تحفر الآن قبر سعادتك ! . . أتوسل اليك
أن تكف .. إني خائفة .. إن لعنة أبدية تتجمع لتنفقض
على رؤوسنا .. بحق السماء كف يا أوديب ؟ ! .

أوديب

لا تخافي ! . . لقد قلت لي يوماً إنك لا تحفلين بحقيقة
مولدى ! . . فلا تكن ولدت من صلب عبد من عبيدك

الأرقاء . . . فهل هذا يخيفك . . . أو يورثك من الخجل
ما يذل نفسك أو يسحق كبرياءك . . . ! سأمضى في بحثي عن
حقيقتي تلك رغبة أقوى مني . . . ولا يستطيع أحد
أن يحول بيني وبين رغبتي في أن أعرف من أنا . . .
ومن أكون . . . !

الجوقة

امض في طريقك أيها الملك العظيم واكشف الستار
عن مولدك ! فمها يكن أصلك ومنبتك . . . فنحن بك
نخورون ! . . .

أوديب

لا أريد أن أعيش في ضباب . . . حتى ولو كان له الملك
ثمناً . . . لقد تركت كورنت وعرشها بحثاً عن الحقيقة . . .

والآن وقد كدت أضع يدي على مفتاحها . أحجم وأراجع
وأكف ؟ ! . لن يسكون ذلك أبداً . . لن يسكون
ذلك أبداً . . .

الجوقة (تلتفت إلى الخلف)

ما لهذا الراعي خلف الصفوف ، يتسائل كمن يريد
الهرب ؟ ! .

أوديب

أى راع ؟ ! .

الجوقة

ذلك الذى كان فى حاشية لايوس . .

أوديب

أمسكوا به وأحضروه . . . لا بد أنه يعلم شيئاً . . .

(يدفع بعض الناس الراعى إلى حيث يقف أوديب)

الجوقة

لماذا تهرب أيها الراعى ؟ . . .

الراعى

لم أهرب . . . والسكنى ما رأيت موجباً لبقائى ! . . .

أوديب

ما انصرفك هكذا إلا لعلة . . . سنعرفها الآن . . . ربما

كنت تعرف من نطلب . . .

الراعى

لست أعرف أحداً . . . ولا شيئاً . . .

أوديب

اقتربوا به أولاً من رسول كورنت .. وأنت أيها الرسول ..

تفرس في وجهه جيداً . . فر بما أدى ذلك إلى أمر . . .

(يدفع بالراعى إلى جوار الشيخ)

الجسوقية (تنظر إلى الرجلين)

شيخان هرمان . . لسكانها في عمر واحد . . .

الشيخ (صائحا بعد أن يحدق في الراعى)

هو بعينه ! . . هو بعينه ! . .

أوديب

من ؟ . من ؟ . .

الشيخ

الراعى الذى سلمنى الطفل . . !

أوديب

أسمعت أيها الراعى ؟

الراعى

لست أفهم شيئاً مما يقول هذا الشيخ . . !

أوديب

أما سبق لك أن لقيت هذا الشيخ فى بقعة من البقاع ؟ . . !

الراعى

لست أذكر . . .

أوديب

وكيف استطاع هو أن يذكر ؟ ..

الشيخ

دعني يا أوديب أشهد ذا كرته . . . ما إخاله ينسى تلك
الأيام التي كنا نعمل فيها متجاورين في منطقة سيتايرون . .
كان هو يرعى قطيعين . . وكنت أنا أرعى قطيعاً واحداً .
ولقد تعاقبت علينا ثلاثة فصول . . من الربيع إلى الخريف . .
حتى إذا أقبل الشتاء ، سقت قطيعي عائداً إلى كورنت . .
وساق هو قطيعه راجعاً إلى طيبة . . أما كنا نفعل ذلك
أيها الراعي ؟ ! .

الراعي

نعم . . هذا حقاً ما كنا نفعل . . ولكن مضت على
ذلك سنون كثيرة . .

الشيخ

أجل . . مضت سنون كثيرة . . ولكن ذلك

لا يمنع من تذكر ذلك الطفل الرضيع ، الذي وضعته على
بين ذراعي ذات يوم ، وتوسلت إلى أن أربيه ، كما
لو كان ابني ...

الراعي (مرتجفاً)

ماذا تعني ؟ .. وماذا تبغى مني أن أقول ؟ ..

الشيخ

أبغى منك إلا أن تنظر أمامك أيها الصديق
القديم .. ها هو ذا طفلك الرضيع ! ..

(يشير له إلى أوديب)

جو كاستا (تلفظ بغير وعى همسة كالحشرة)

كفي ! .. كفي ! ..

(تم مندفة نحو القصر .. ولكن أوديب يمنعها)

أوديب (صائحا)

أين تذهبين يا جو كاستا ؟ ! ..

جوکاستا

أهيا الأله .. رحماك! ..

أوديب

مكانك لحظة .. لتسمعي بأذنيك حقيقة منبتى! ..

جوکاستا

لا أستطيع البقاء لحظة أخرى .. لا أستطيع ..

لا أستطيع ...

أوديب

لا تستطيعين أن تتحملي حمرة الخجل تصبغ وجهك ،

وانت تسمعين أمام كل هذا الملاء ، من أي بطن

وضيع خرج زوجك! .. إني ما أرغمتك قبل الآن

على شيء قط .. ولكنني أرغمك الآن ارغاماً على
البقاء في مكانك .. لتعرفني عنى ما سيعرف الساعة
هذا الشعب المحتشد ! .. حتى وان كان في ذلك إذلال
لجلالك المملكي ، وجرح لعزة أسرتك العريقة ! ..

الجوقة

ابق معنا أيتها الملكة .. واسمعي ما نسمع .. ولن
يضيرك شيء .. فإن أوديب فينا ملك ببطولته لا بأسرته ! ..

أوديب

اصغى يا جوكاستا الى حكمة الشعب ورغبته ! ..

جوكاستا (تنحى وجهها بفلاتها)

رحمك أيتها السماء ! ..

أوديب (لراعى)

والآن أيها الراعى .. صارحنا بجواب مستقيم ..
ليس فيه التواء .. عن حقيقة ذلك الطفل الذى
سلمته الى صاحبك هذا! ..

الراعى

صاحبى هذا يا مولاي ، لا يدري ما يقول .. إنه ولا ريب
مخطيء ..

أوديب

حذار أيها الراعى! .. إذا أبيت أن تجيب بالحسنى .
فإننا نعرف كيف نرغمك على الكلام! ..

الراعى

ترفق يا مولاي برجل هرم مثلى! ..

أوديب

إذا اردت الرفق بك فتكلم ! ..

الراعى

ماذا تريدون أن تعلموا اكثر مما علمتم ؟ ..

أوديب

ذلك الطفل الذى تحدث عنه صاحبك هذا ، أهو أنت

الذى سلمته اليه ؟ .. !

الراعى

أجل يا مولاي .. أنا .. وإني لأتمنى لو كنت مت

فى ذلك اليوم .

أوديب

إني مذيقتك الموت اليوم ، إذا امتنعت عن الأفضاء

بالحقيقة ! .

الراعى

الويل لى ! .. إن فى هذه الحقيقه موتآلى وأى موت ا ..

أوديب

أما زلت تنوى أن تهرب وتروغ ؟ ..!

الراعى

لم يبق الى ذلك سبيل ... أو لم أعترف بأنى أعطيته
الطفل ؟ .. ماذا يراد بعدئذ منى ؟ ..

أوديب

من أين جئت بذلك الطفل ؟ .. من بيتك أو من بيت
آخر ؟ ..

الراعى

ليس من بيتى .. بل .. من بيت آخر .

أوديب

من أى بيت ؟

الراعى

ويلاه ! . ويلاه ! . استحلّفك بالسماه يامولاي . . أن
تكف عن سؤالى ! . .

أوديب

أجب .. أجب .. إذا أمسكت الآن عن الإجابة ، فأتى
منزل بك كل عذاب ، وملق بك فى شرمات ! . تكلم ! . .

الراعى

كان ذلك الطفل من بيت .. لا يوس .

أوديب

أكان ابن عبد من عبيده ؟ .. تكلم ...

الراعى

ألا يمكن أن تعفينى من القول .. مولاي .. رفقاً بي ! . .

أوديب

يجب أن تتكلم .. ويجب أن أسمع .. وإلا حطمت رأسك

الأيض .. بلا رحمة .. وسحقت جسمك الواهن ! ..

الراعى

كان الطفل .. ابنه هو ..

أوديب

ابن من ؟ ..

الراعى

ابن .. لا يوس ! ..

أوديب

ابن الملك لا يوس ؟ ! ..

الراعى

نعم .

(يتحدث هرج بين الشعب .. ويكاد أوديب ينهار

ولكنه يتماسك ..)

أوديب

ما تقول فظيع أيها الرجل .. فظيع ما تقول .. لا يكاد

عقلي يصدق .. حذار أيها الرجل أن تسكون فى قولك

كاذباً أو واهماً . . . لقد فهمت الآن العلة في هروبك مني . . .
ما أنت في واقع الأمر إلا منبع الخبر .. منك أنت ولا ريب
عرف كهنا، المعبد! فما من سر يدفن في الصدر سبعة عشر عاماً ،
دون أن تنتشر له في الهواء رائحة !. أنت إذن مصدر الوحي في
دلف! حذار أن تكون مفترياً على بالزور، أو موحياً بالأفك!

الراعى

بل هي الحقيقة .. وفي مقدورك أن تسأل الملكة جو كاستا ..
فقد كان كل شيء في حضورها وبعلمها . . . لقد دفعوا إلى
بالطفل لأهلكه .. ولكن قلبي لم يجرؤ على إهلاكه . فسلمته
إلى هذا الرجل . . . ليذهب إلى بلادته ، ويتخذ ولدأ . . .
فأخذه وأنقذ بذلك حياته . . .

أوديب

أ كان طفلاً حملته الملكة جو كاستا؟

الراعى

أجل يا مولاي . . . وقد قيل يوماً إن هلاكه ضرورى . . .
لنبوءة مشؤومة لحقت به . . . هي أن هذا الابن سوف

يقتل أباه . . .

أوديب (صائحا)

لايوس! . . . جو كاستا! . . . يا للسماء! . . . يا للسماء! . . . انقشع الضباب
من حولي . . . فرأيت الحقيقة . . . ما أبشع وجه الحقيقة!
يا لها من لعنة . . . لم يسبق أن صب نظيرها على بشر!
ترسياس! . . . ترسياس! . . . ولكنك جامد كتمثال . . .
لقد شعرت بطيف الكارثة . . . وانقبض لها صدرى . . .
قبل أن تنقض . . . ولكني ما تصورتها قط بهذه الفظاعة!
كذلك انقبضت لها أنت يا جو كاستا . . . جو كاستا . . .

(جو كاستا وكأنها كانت طول الوقت ماثلة بغير

رشد . . . تسقط على الأرض فاقدة الصواب . . .)

الجوقة (في صياح)

أسرعوا إلى الملكة! . . . الملكة جو كاستا تنوء تحت وقر

الكارثة! . . . أنجدوها . . . أسعفوها . . . أدخلوها القصر!

(يجتمع الناس حول جسم الملكة . . يحملونها يرفق ،
يعاونهم أوديب وقد أذهلته الفجعة . . ويدخلون بها
القصر . . . تاركين ترسياس في موضعه . . .)

ترسياس

اذهب بي أيها الغلام بعيداً عن هذا المكان ! . . فقد
راق للسماء أن تتخذة ملعباً ! . . نعم . . إن الآله يلهو ويلشء
فنأ . . ويصنع قصة . . قصة على أساس فكرتي . .
هي بالنسبة إلى أوديب وجوكاستا مأساة . . وبالنسبة
إلى أنا ملهاة ! . . عليكما إذن يا صاحبا هذا القصر أن
تذرفا العبرات . . وعلى أنا أن أرسل الضحكات ! . .
(يضحك كالمجنون . .)

القصر
الضحكات
كفضته

الفصل الثالث

« المنظر الأول »

(في القصر . . . جو كاستا في حجرتها . . .
ملقاء على فراشها . . . ومن حولها
أوديب وأولادها جزعين . . .)

أوديب (هامساً)

ابتعدوا عنها قليلاً يا أطفالى . . . ولا تراعوا . . . إنها نائمة . . .

أنتجونه

أهدأها تتحرك يا أبتاه ! . . .

أوديب

نعم . . . إنها تتنبه . . . إياكم أن تظهروا لها الجزع . . . إنما
هو مرض عارض . . . لا يلبث أن يزول . . .

(جو كاستا تنهد وتفتح عينيها . . .)

جو كاستا

أين أنا؟ .. أتم هنا يا أولادى ؟ .. هذا أنت يا ..
أوديب ! .. ويلى ! .. ويلى ! ..

أوديب

تجلى يا جو كاستا ! ..

جو كاستا

ألم أزل على قيد الحياة بعد ! .. أما ابتلعنى الأرض ؟ !
أما طوانى الفناء ! ؟ .

أوديب (بصوت منخفض)

كفى عن هذا الكلام فى حضرة أولادنا ! ..

جو كاستا

أولادنا ... أولادنا ... بالبشاعة ما تقول ! ..

أنتجونه (مرتاعة)

أماه ! ..

أوديبي

أذهبي يا أنتجونه مع اخوتك .. لا تزعجوا أمكم الآن ..

(يخرجهم برفق من المكان ...)

جوكاستا (كالمخاطبة لنفسها)

أولادنا .. ! أولادنا .. !

أوديبي (يعود إليها)

جوكاستا .. ! أيتها العزيزة .. رفقاً بنفسك وبي .. !

جوكاستا

أولادنا .. ! من أي بطن خرجوا .. كلهم .. وانت

معهم يا .. أوديبي .. ! بطن واحد .. حملهم وحملك .. !

إن تقول بعد اليوم إنهم أولادك .. ! بل هم أيضا

اخوتك .. ولن تقول إني زوجك بعد اليوم .. فأنا أيضا

لك في عين الوقت ... أنا أيضا لك .. ماذا ؟ ..

ماذا ؟ .. أقول ؟ !

أوديب

لا تقولي شيئاً يا جوكاستا .

جوكاستا

أعرفت الدنيا من قبل إثمًا كهذا الإثم ! .. أالطخ وجه
الأرض دنس مثل هذا الدنس !؟ . أنزلت على رأس
بشر لعنة مثل هذه اللعنة ! .. ومع ذلك لم أزل حية ..
حياة أتنفس .. وأتكلم .. وأبصر أولادي .. أولادي
جميعهم .. جميعهم ! ..

(تبكي وتمزق شعرها ..)

أوديب

رفقاً بنفسك وبني ! ..

جوكاستا

أوديب ! .. زوجي و .. ابني ! .. لماذا فعلت بنا السماء

ذلك!؟ أى جرم استوجب علينا هذا العقاب! ..
أتراها جريمتى يوم تركتك للهلاك صغيراً!؟ . ابني
وزوجي! . أهذا ممكن!؟ . أهذا يمكن أن يحتمله
كيان بشر .. دون ان يصاب بالجنون .. أو يصعق
من الفور! .. لا بد أن أموت يا أوديب! .. لا بد
أن أموت! ..

أوديب

لن تموتى يا جوكاستا! .. سأزود عنك كوحش
أصابه سعار .. سأقف فى وجه كل من ينال منك
شعرة .. سأصمد معك لصواعق السماء .. وضربات
القدر .. ولعنات البشر .. لن تموتى! .. لن تموتى! ..

جوكاستا

وما قيمة الحياة الآن .. يا أوديب! .. ما قيمة حياتنا! ..
أعداؤنا الآن ليسوا فى السماء ولا فى الأرض! .. عدونا

داخل أنفسنا ... عدونا هو تلك الحقيقة المدفونة ، التي
حفرت أنت عليها بيديك ، وكشفت عنها ولا سبيل
الى الخلاص منها .. إلا بالقضاء على أنفسنا ! .. يجب
أن أموت اذا أردت أن أخنق في أعماق ذلك الصوت
البشع للحقيقة البشعة ! ..

أوديب

لن تموتى ... سأقضى على كل عدوك .. حتى
وان كان داخل نفسك ! ..

جوكاستا

كلا يا أوديب ! .. لا تفعل ! .. إنك بذلك تمد في
عذابى ولا تريخنى . . . لقد قضى الأمر وحلت علينا اللعنة
من الآله ومن الناس ! .. أينما سرنا .. تبعتنا الأنظار
كأنها حجارة ترجمنا ! ..

أوديب

تشجعي يا جوكاستا مثل ما أتشجع .. وتجلدى مثل
ما أتجلد .. واحتملى كل شيء لمواجهة الواقع ! ..

جوكاستا

أى واقع نستطيع أن نواجهه بعد اليوم ؟ !

أوديب

كياننا الواحد .. أسرتنا المتحدة .. قلوبنا المتحابه ..
نفوسنا التي تعمرها المودة وتدعمها الرحمة ! .. من في
مقدوره أن يهدم كل هذا البنيان ! .. وأى قوة في
إمكانها ان تدك هذا البرج المشيد من حب
وعطف وحنان ! ..

جوكاستا

أوديب ! .. يا ... لست أدري كيف أناديك ؟ ! ..

أوديب

ناديني بأى وصف شئت ! .. فأنت جوكاستا التى أحبها ..
ولن يغير شىء ما بقلبي .. فلا تكن زوجك أو ابنك ..
فما تستطيع الأسماء ولا الصفات أن تبدل ما رسخ فى
القلوب من العطف والود ! .. ولتكن انتجونه واخوتها
أولاداً لى أو أشقاء فما يستطيع وضع من هذه
الأوضاع أن يغير فى نفسى ما أكنه لهم من الحنان
والحب ! .. أعترف لك يا جوكاستا أنى تلقيت الضربة
وكدت بها أنوء .. ولكنها ما استطاعت قط أن تجعلنى
أبدل شعورى نحوك لحظة واحدة ! .. فأنت هى جوكاستا
دائماً ومهما اسمع من انك لى أم أو أخت ..
فلن يغير هذا من الواقع شيئاً .. وهو انك
عندى دائماً : جوكاستا ! ..

جوكاستا

أوديب! .. يامن أعزه أكثر من نفسي! .. لا تحاول أن
تخفف عنى وطأة المصيبة! .. إن الواقع هو كما وصفت ...
ولكن الحقيقة يا أوديب! .. ما ذا نفعل بصوت الحقيقة
الصارخ!؟

أوديب

الحقيقة!؟ .. إني ما خفت يوماً من وجهها .. ولا ارتعت
من صوتها! ..

جوكاستا (كالمخاطبة لنفسها)

لطالما حذرتك من ذلك! .. واشفقت عليك منها ...
أنت الذى قضيت خير أيامك تجرى خلفها .. من بلد إلى
بلد .. لتمسك بنقابها .. حتى التفتت اليك ، آخر الأمر ..
وكشفت لك قليلاً عن وجهها المروع ، وصرخت بصوتها
المدوى .. فهدمت صرح سعادتنا .. وصيرتنا إلى ما ترى ..

حطام من أسرة ، لا تعرف لها وضعاً بين الأسر . . . ولا
نعماً بين البشر ! . . .

أوديب

كان ينبغي لي يا جوكاستا أن أعرف الحقيقة ! . . .

جوكاستا

لقد عرفتها . . . فهل استرحت ؟ ! . . .

أوديب

حقاً . . . ليتني ما عرفتها . . . وهل كنت أتخيل أنها بهذا
الهلول ! . . . وهل كان يخطر لي أنها شيء قد يقضى على
هنائي ؟ ! . الآن فقط أدركت . . . بعد أن انتقمتم مني . . .
لأنني عبثت بنقابها ! . . .

جوكاستا

انتقمتم منا جميعاً يا أوديب ! . . . انتقاماً لا قيام لنا
من بعده ! . . .

أوديب

لا تقولى ذلك يا جوكاستا . . . فى وسعنا أن نقوم . . .
انهضى معى . . . ولنضع أصابعنا فى آذاننا . . . ولنعش فى
الواقع . . . فى الحياة التى تدبض بها قلوبنا الفياضة بالمحبة
والرحمة . . .

جوكاستا

لا أستطيع يا أوديب . . . لا أستطيع البقاء معك . . .
إن حبك لأسرتك قد أعماك . . . إنك لا ترى الناس
وما هم قائلون . . . لو استأنفنا هذه الحياة الشاذة بعد
اليوم . . . لم أعد أصلح للبقاء . . . أيها العزيز . . . ليس
هنالك من مخرج إلا . . . ذهابى . . .

أوديب

لن تذهبي . . . سأرغمك على الحياة . . . سأحرسك الليل
والنهار . . . لن أسمع لشيء أن يحطم سعادتنا . . . ويقوض

أسرتنا . . . سأترك الملك والقصر . . . ونرحل معاً بصغارنا
عن هذه البلاد . . .

جوكاستا

نرحل معاً! . . . كلا . . . بل أرحل أنا وحدي . . .

أوديب

جوكاستا! . . . حذار أن تقدمي على أمر يلقى في قلبي اليأس . . .
أنت تعرفين أني لا أستطيع لك فراقاً . . . تجلدي وانهضي
معى نواجه الحياة . . . ثقي أنه ما دامت لنا قلوب فنحن
صالحون للبقاء . . .

جوكاستا

لم نعد نصلح للبقاء معاً! . . .

أوديب

ماهى تلك القوة التى تحول بينى وبينك ؟ !

جوكاستا

لا تستطيع أنت تحطيمها يا أوديب ! . . . همها تكن لك
تلك البطولة التي قضت على أبي الهول ! ..

أوديب (كالمخاطب لنفسه)

ياله من مصير ! . . . إني بطل لأنني قتلت وحشاً . . . زعموا
أن له أجنحة ! . . . وإني مجرم لأنني قتلت رجلاً . . . أثبتوا
أنه أبي الذي جدت من صلبه ! . . . وما أنا بالبطل ولا
بالمجرم ! . . . ولكنني فرد من الأفراد . . . ألقى عليه الناس
أوهامها . . . وألقى عليه السماء أقدارها . . . فهل ينبغي لي
أن أختنق تحت وقر هذه الأردية التي ألقيت عليّ ؟ ! .
هذا قلبي ما زال ينبض . . . إني حي . . . إني أريد أن
أعيش . . . أريد أن أعيش يا جوكاستا . . . وأن تعيشي
معى . . . ما هذه الهوة التي تفصلنا الآن ! . . . ما هذا العدو
الخنفي والخصم المستتر ، الذي يقوم بيننا كعملاق ! . . .

الحقيقة! . . ما هي قوة هذه الحقيقة ١٤ . لو أنها كانت
أسداً ضارياً ، حاد الخلب والناب ، لقتلته وألقيت به بعيداً
عن طريقنا . . ولكنها شيء لا يوجد . . إلا في أذهاننا . .
إنها وهم . . إنها شبح . . إن ضربتي لا تنفذ في أحشائها . .
ويدي لا تنال من كيائها . . وحش مجنح حقاً . . رابض في
الهواء . . لا نصل إليه بسلاحنا . . ويقتل سعادتنا
بالغازه . . جو كاستا ! . . أنت ترعدين من طيف
يا جو كاستا ! . . إن الواقع الذي نعيش الآن فيه يجب أن
يبقى . . ويجب ألا نسمح لشيء لانراه ، أن يهدمه . . .
دعك من حقيقة ما سمعنا أيتها العزيزة . . اصغى إلى
نبضات قلبك الساعة . . ماذا هي قائلة لك : أهي تقول لك
إن شيئاً قد تغير ؟ . هل حبك لصغارك قد تغير ؟ . .
هل حبك لأوديب قد تغير ؟ ! . . .

جو كاستا

لا .. ولن يتغير أبداً هذا الحب .. أبداً .. أبداً ..
ولكن ...

أوديب

ما هذه الدموع في عينيك .. قولي إنك تريد الحياة
من أجلنا! ..

جو كاستا

أوديب! ..

أوديب

لماذا تنظرين إليّ هكذا .. كما لو كنت طفلك! ..

جو كاستا

أوديب! ..

أوديب

ما ذاك يا جو كاستا العزيزة!؟ إنك ترثين لي ..

تشبثي بهنائنا الضائع يملوك بالأسى .. أقرأ في وجهك
المأوعذاباً .. تألمى قليلاً .. بل أمعنى في الألم .. فإن أعظم
القوى تضافت على هدم هذه الأسرة السعيدة ! ..
كل القوى .. تفكير الإنسان المتمرد ، وتدبير الآله
الساخر .. وتقاليد الناس ، وأوهام البشر .. كل شيء
تحالف على شقائنا .. حتى عقلى الذى لبث
الأعوام يبحث عن حثي ... إلى أن أخرج لنا ذلك
الشبح الذى استوى فى الفضاء ، يعصف بحياتنا الباسمة
ويزلزل واقعنا الجميل .. ويمنعنا من التلاقى فى عش
نسيجناه من ريش تألفنا الطويل ... جو كاستا ...
فلنتألم من لظمة الكارثة التى نزلت بنا .. وانقبضت لها
نفسانا معاً عند دنوها .. ألا تذكرين ؟ .. ولكن ..
إياك ان نستسلم للنزلة .. كل شيء يمضى .. ما دمنا نذود
عن بيتنا .. إن حرارة القلوب تذيب كل الذنوب ..
حتى ذنوب العقل وأخطائه .. إني مؤمن بطهر قلبى

وقلبك .. لأننا لم نرتكب إثماً عامدين .. ولم نرد كل هذا
الشر الذي تحملنا تبعته .. فليس لأحد علينا سبيل ..
وليس لقوة ان تطلب اليها ثمناً باهظاً لجرائم لم نسع إلى
ارتكابها .. واذا كان علينا ان ندفع ثمناً .. فليكن هذا
المجد وهذا الملك وهذا الثراء ... أما أنت يا جوكاستا ..
وأما أولادنا .. فكلا .. كلا .. كلا ..

جوكاستا (تهمس)

أولادنا .. أولادنا ...

أوديب

بم تهمسين ؟ ..

جوكاستا

لا شيء ...

أوديب

أرى في عينيك أمراً .. اني خائف منك يا جوكاستا ! ..

جوکاستا

لا تخف .. هو قليل من التعب .. دعني الآن ! ..

أوديب

أراك منهوكة القوى ..

جوکاستا

نعم .

أوديب

لو نمت قليلا . . . لو استغرقت في نوم طويل أيتها
العزيزة . . .

جوکاستا

هذا ما عولت عليه ..

أوديب

ولكنني لن أدعك الآن حتى تعديني أن نرحل معاً عن هذه

البلاد . . . إلى مكان بعيد . . .

جو كاستا (كالمخاطبة لنفسها)

إلى مكان بعيد . . . نعم . . . أعدك ! . . .

أوديب

سأطلب ذلك من فوري إلى الشعب وإلى كليون . . .
استريحى الآن . . . ولا تفكرى فى شيء . . .
حتى أعود . . .

جو كاستا

اذهب . . . يا .. أوديب ! . . .

أوديب (ينظر إليها مليا)

لن أتركك بمفردك ! . . . سأنادى الأولاد يمشون
إلى جانبك ريثما أرجع . . . (ينادى) أنتجونه !
أنتجونه ! . . .

(تظهر انتجونه بالعتبة)

أنتجونه

أبتاه . . .

أوديب

ادخلي أنت وأخوتك . . . واعنوا بأمكم . . . وسروا
عنها . . . حتى أعود . . .

(يضع يده على أعناق أولاده . . . وتاملهم جو كاستا
وهم مجتمعون على هذه الصورة . . . ويقودهم أوديب إلى
أمهم)

أنتجونه

ما من أحد يستطيع التسرية عن أمي إلا أنت يا أبي . . .
حسبك أن تقص عليها قصة أبي الهول ! . . . ان أمي كما
تعلم تحب سماعها منك دائماً ! . . .

أوديب

الشعب في انتظاري يا أنتجونه ! . . . تولى أنت عنى هذا

الأمر . . . إنك تجيدين سرد القصة . . . أكثر مني . . .
أوصيك بالعناية بأمرك . . . ريثما أعود . . . إياك أن
تتركها فريسة للتفكير ! . . .

(يخرج مشيعا بنظرات جو كاستا الواهه . . .)

جو كاستا (هامة)

زوجي . . . ولدي . . . !

انتجونه

أماه ! . . . يبدو عليك حقاً أنك تفكرين في شيء
مخزن ! . . .

جو كاستا

لن يطول أمد ذلك يا بنيتي ! . . .

انتجونه

لماذا تنظرين إلي هكذا ؟ ! . . .

جوكاستا

إنك تحبين أباك كثيراً يا أنتجونه ! . . إني واثقة أنك
ستكونين دائماً بجانبه . . إذا قدر لي يوماً أن أذهب
إلى مكان بعيد . . .

انتجونه

أذاهبة أنت يا أماء إلى مكان بعيد ؟ ! .

جوكاستا

ربما . . يحدث ذلك يوماً . . .

أنتجونه

أى مكان بعيد تعنين ؟ . .

جوكاستا

مكان بعيد . . يعيش فيه القلب طليقاً كاليمامة الآمنة ..

لا يطير في سمائه ذلك الطائر ذو الأجنحة والمخالب ..

الذى يفترس الحب . . .

أنتجونه

لست أفهم ما تقولين يا أماء !

جو كاستا

لا بأس .. لا تحاولي الفهم الآن ... كل ما أرجو
منك أن تعني بأبيك .. إذا رأيته يوماً وحيداً ..
أوصيك به يا أنتجونه .. فهو يستحق كل محبتنا ..
وإذا رأيت يوماً دموعه تنحدر من عينيه .. فبكفيك
الصغيرتين الطاهرتين امسحي تلك الدموع ...

أنتجونه

لماذا تقولين لي هذا الكلام يا أماء ! ..

جو كاستا

لأنني لا أريد لأبيك أن يتألم .. يجب أن يعيش قرير
العين .. وأن يجد فيك عزاء يا بنيتي عن كل شيء ...

أنتجونه

تبيكين يا أماء ! ..

جو كاستا

أوصيك به يا أنتجونه ! .. أوصيك به يا أنتجونه ! ..

(تضمها طويلا..)

اصطفا على
هو كاستا و اردني

المنظر الثاني

« في الساحة امام القصر .. الجوقة محتشدة كما
كانت .. وقد وقف بين الجمع الكاهن وكريون... »

الجوقة

من كان يتخيل ان الستار سيرتفع عن هذه الأشياء
المروعة! .. ومن كان يتصور أن أوديب يجهد من
حقيقته ما كان يجهد! .. هذا البطل الذي لج في البحث ..
وحذق حل اللغز ، يعنى عن شأنه ، فلا يرى أى امرأة
في فراشه ، ولا أى ولد أنجب ، ولا أى رجل قتل ؟
لكأن هذا الإنسان الذى قبض على اكثر مما ينبغى
له من سر ، قد أفلت منه أصغر ما يلتصق بشخص
الإنسان من أمر .. لقد تناول حتى هاجم أبا الهول
ينزع سره .. وتضاءل حتى خفي عليه ما فى بيته وما فى

قدمه ! .. ما أتعس هذا الإنسان الذي جعل ينقب
في الأعماق ، فما انبثق له غير نبع شقائه ! .. ترى ماذا
يفعل الآن ؟ ! وماذا جرى لجوكاستا ؟ .. هل أفاقت ؟ ..
ترى ما عساهم يصنعون بعد اليوم ؟ ! هؤلاء الذين
يحتويهم هذا القصر في جوفه .. كما يحتوي الحيوان في
أحشائه القدر والنتن ! .. لسنا ندرى أنزثى لأوديب أم
نعضب عليه ؟ ! .. إنه مع ذلك ملكنا وبطلنا ، قبل أن
يكون الآثم في حق نفسه وذويه ! ..

الساكن

حسبك أيها الشعب حديثاً في أمر أوديب ! .. دعكم الآن
من شقائه .. واشغلوا أنفسكم بشقائكم أتم ! ..

الجوقة

وهل نملك لأنفسنا حيلة ! .. سل أوديب .. فهو الذي
يرى لنا دائماً ما ينبغي ..

الكاهن

انكم ما زلتم تضعون أوديب في الموضع الذي جعلتموه
فيه .. وتتخيلونه على الصفة التي عرفتموها عنه ..
وليس في مقدوركم أن تتحرروا سريعاً من سحر صورة
ألفتموها .. ولا أن تجروا فيها تعديلاً مفاجئاً .. لأن
ذلك يستلزم قدرة على سرعة الإدراك ... وما أجد
تفكيرك أيها الشعب ! .. وما أبطأ يدك في وضع
تمثال مكان تمثال ! .. ولكني أنبهكم إلى أن أوديب
الآن في هم من أمره يكفيه ، وفي بلاء يضنيه ، وفي
محنة تستغرقه ، وشغل يصرفه عن التفرغ لأمركم ...

الجوقة (ناظرة إلى باب القصر)

ها هو ذا أوديب قد ظهر ! ..

أوديب

إنه لشاق على نفسي أن أتعرض لأنظاركم .. بعد أن

غطاني الخزي ، ودثرتني العار .. ولكنني جئت أتلقى
حكم الشعب عليّ .. أيها الناس .. ارحموني قليلاً ،
إذا كان حكمكم الذي أصدرتموه الساعة في غيبتني ، أقسى
مما أحتمل ...

الكاهن

إنهم لم يصدروا عليك حكماً يا أوديب .. ولا تنتظر منهم
أن يفعلوا .. ولكن تذكر أنك وعدت أن تصدر أنت
حكمك على قاتل لا يوس .. فلا تخلف وعدهك ! .

أوديب

لن أخلف وعدي أيها الكاهن .. ماذا قدرت لكما من
عقاب ، يوم وجهت إليك وإلى كريون الاتهام ؟ ..

الكاهن

الموت أو النفي ..

أوديب

أما الموت فأني أجهن الآن عنه .. لأنني أحب أهلي ! ..
فلتكن الثانية أيها الكاهن ! .. دعوني أرحل بأسرتي
عن هذه البلاد .. إلى غير رجعة ! ..

كريون

إنك يا أوديب تسأل شططا .. ما أسرتك إلا أسرتي .
كيف ندعك تشرد هذه الأسيرة في غريب البلاد ..
وتذهب بها إلى غير عودة !؟ .

أوديب

أو تستطيع هذه الأرض أن تحملنا بعد اليوم !؟ .

كريون

ليس من حق أحد هنا يا أوديب أن يجيز لك هذا
الرحيل ... ولسنا نملك أن نقضى فيه بأمر ، قبل أن
تستلهم الآله .

أوديب

ما هذا الذى تقول يا كريون ؟ . أأنت الذى جاء
من معبد دلف بالوحي ؟ . أليس هو الذى قال بتطهير
هذه الأرض ممن لطمخوها بالدنس ؟ ! .

كريون

إن ما طلبت يا أوديب لأخطر من أن أقره بغير إذن . .
إن الوحي قد يغمض أحيانا علينا . . . لا بد فى أمرك
من بعض التريث . . ليس من اليسير أن تخرج أسرة
لايوس من منبتها . . . إنها لتبعة . . لا يجوز فيها
العجلة ولا التسرع ! . .

الجوقة (تلتفت)

هذا هو ترسياس قد أقبل . . ربما كان لديه رأى . .
إن فى مقدوره أن يطالع الوحي ! . .

أوديب

ادن يا ترسياس . . . وافصل فيما نحن فيه من خلاف . . .
لقد عرفت ما وقع من أحداث . . . وما هبط على رأسي
من نوازل . . . وها أنذا أعرض ترك هذا الملك الغائص
في الوحل والدم . . . أريد الفرار بأسرتي من هذه الأرض . . .
ولكن هؤلاء القوم يأبون إلا إطالة تعذبي
وإذلالى . . .

ترسياس (يدفع عنه غلامه)

إليك عنى أيها الغلام ! . . . أرى الآن طريقى . . .
لقد لطمنى الأله على عيني فأبصرت ! . . .

أوديب

ترسياس ! . . . اصغ إلى . . .

ترسياس

من هذا الذى ينادينى ؟ . . . بشر أم إله ؟ ! . . .

أوديبي

أنا أوديبي . . .

ترسياس

أوديبي ؟ . . من أوديبي ؟ ! . .

أوديبي

ألا تعرف الآن من أوديبي ؟ . . دعني أذكرك به . . .
إنه ذلك الذي جررت عليه أنت كل هذه النكبات . . .
أنت الأحمق الذي أراد أن يتدخل فيما لا قبل له به . . .
أنت الأعمى الذي ظن أنه يبصر للناس خيراً عما تبصر لهم
السماء . . أنت الذي أردت ، فكانت إرادتك وبالاً
على الأبرياء . . لو أنك تركت الأمور تجري ، كما قدر لها أن
تجري طبقاً لنواميسها المرسومة . . لما كنت أنا اليوم مجرماً ! . .
أردت أن تتحدى السماء ، فأبعدت أوديبي صغيراً عن الملك ،
ووضعت على العرش رجلاً من صنعك . . فإذا بهذا

الرجل الذي وضعت ، هو عين أوديب الذي أبعدت ..
لظالمات هوت بأرادتك الحرة ! .. نعم .. كانت لك حقاً
إرادة حرة .. شهدت آثارها .. ولكنها كانت تتحرك
دائماً ، دون أن تعلم أو تشعر ، داخل إطار من إرادة
السماء ! ..

الجوقة

لسنا نفهم شيئاً من هذا القول العجيب الذي يتفوه به
أوديب ! ..

الكاهن

دعوا أوديب يتفوه بما يشاء . . فهو يود أن يبدو في ثوب
البريء ، وأن يلقي الجرم على عاتق هذا الشيخ الضير ! .
وما كان هذا الشيخ إلا ناقلاً لوحى علوى . . وقد صدقت
النبوذة ! . .

أوديب

نعم .. صدقت .. وهو مما يدعو إلى العجب ! . وما يعجب

له هو نفسه في دخيلته .. هذا الشيخ الناقل للوحي ! .. وإني إذ
تفوهت الساعة بذلك القول لم أرد أن أبدو بريئاً .. فإنا ما
دافعت قط عن نفسي أمامكم .. إنما هو كلام يفهمه ترسياس ..
ولاشأن لكم به ، ولو اطلعت أيها الشعب على ما أعنى لامتلأت
عجباً ! .. أما أنت أيها الكاهن .. فمن يدري ؟ . ربما كنت
لكريون ، دون أن تشعر ، مثلما كان ترسياس لي . . . إن
الإنسان هو الإنسان . . لا بد له من أن يعمل ويريد ويسير
بما تدفعه إليه ملكاته وخيلاؤه ، دون أن تتبين لبصيرته
القاصرة ، إرادته من إرادة الآله ! . . .

ترسياس

ما هذا اللغظ حولي ؟ ! . أكاد لا أسمع شيئاً من حديث
الناس . . . أذني ممتلئة بضحكات آتية من أعلى ! . . .

أوديب

نعم . . لقد أرادت السماء أن تجعل منك أضحوكة ! . . .

أنت يا من ظننت أنك تناصبها حرباً .. وقمت تشرع
من إرادتك سيفاً .. وتخبرت أنت هذا القصر بسكانه
الوادعين ميداناً للنزال .. وضربت ضربتك .. ولكن
الآله اكتفى بأن هزأ بك ولطمك على عينك
العمياء ، لتبصر حمقك وغرورك ! .. أما القصر فقد
اندك بأهله تحت ضربتك الحمقاء وسخرية السماء ! ..
على أن من المروءة ياترسياس أن تفكر قليلا في
أمر الضحايا .. . تكلم واقض بما ترى .. انى لا أسأل
شيئاً غير الرحيل بأسرتى عن هذه الأرض .. حاملين
خزينا .. لعلنا نوفق في أرض أخرى إلى رمّ حالنا !

ترسياس

أيها الغلام ! .. ما هذا الذى يطن من أعماق الصمت ..
طنين الحشرة من أعماق الطين ؟ !

أوديب

هو مخلوق قتل أباه ، وتزوج من أمه ، وأنجب أولاداً هم
له أشقاء!.. الحشرة فى أعماق الطين تفعل ذلك لأنها
عمياء .. ولقد فعلت ذلك لأن مصيرى ، منذ وجودى ،
أراد أن يقوده أعمى!.. أيها المجرم الحقيقى .. لو كان
دمك طاهراً لسفكته وغسلت به جراحى!.. ولكن
كتب لك أن تعيش مبهجلاً تخدع الناس ، وأن أدفع
أنا ثمن أخطائك ، وأرتدى خزى أوزارك ..

الكاهن

رفقاً بالشيخ يا أوديب!.. رفقاً بالشيخ!..

الجوقة

تحمل قدرك وحدك يا أوديب ، كما يليق يبطل
أن يتحملة!..

أوديب

أصبتم أيها الناس! .. إنه لمن الخطل أن نناقش فيما ألقى
على كواهلنا من أقدار .. ربما كان بعضها من صنع أيدينا ..
أسمع أنت يا ترسياس؟ .. عينك المغلقة لم تستطع أن تبصر
يد الإله في هذا الكون! .. هذا النظام المقرر للأشياء ..
الدقيق كالصراط ، كل من خرج عليه وجد حفراً يقع فيها ..
صراط ، لك أن تسير فيه بأرادتك أو تقف ، ولكن ليس
لك أن تتحدى أو تنحرف . وقد فعلت يا ترسياس ف وقعت ..
وايكنك جرفتنا معك .. غير أن السقطة لم تصبك إلا في
كبريائك .. لقد ردك الآله بها إلى موضعك .. أما نحن فقد
أصابتنا في قلوبنا .. وما من أحد يبذل لنا الساعة عوناً ..
حتى أنت ، تلزم الصمت ، ولا تنطق إلا بالهراء والخلط !
لم يبق لنا من أمل إلا قلوب الناس ، نسألها بعض الرحمة بنا ..
والآن أغرب عنى أيها الشيخ! .. ما عدت تصلح بعد
اليوم لشيء فيما أرى .. اذهب به بعيداً أيها الغلام ..

ترسياس (للغلام)

اذهب بي الى الآله ، لأسأله . متى أعدت سخريته ودبرها ؟
قبل خلقنا ؟ أو بعد تفكيرنا ؟ . اصعد بي الى السماء أيها
الغلام ، وأدخاني على الآله . . لأعلم هل هو يضحك الساعة
حقاً مني ؟ . أو هو لا يعرفني ولا يحفل بأمرى . . إنما هو قد
ضحك سلفاً منذ مبدأ الخليقة . . منذ خلق هذه المزاحة . .
وأطلقها في الزمان . . تصيب من يتعرض لها . . وتلبس
من يتحداها . . وتلحق من يقف في طريقها ! . . اصعد بي
الى السماء أيها الغلام ، لأعلم . . فأذا وجدت الآله يضحك
مني ، فسأضحك أنا أيضا في حضرته . . هكذا . . هكذا . .
(يدفع الغلام أمامه وهو يضحك إلى أن يخرج . . .)

الجوقة (وهي تشيع ترسياس بانظارها)
ما ذا جرى اليوم لترسياس الجليل ؟ ! . لسكان الأحداث
قد أذهلته عنا ، وأخرجته عن طوره ! . .

الكاهن

دعوه يذهب . . . ما أراه اليوم على خير حال ! . .
(صيحة تدوى في داخل القصر . . فإلتفت الجميع الى
بابه . . وعندئذ تظهر أنزجونه صائحة . .)

أنتجونه

أبتاه ..! أبتاه ..!

أوديب

ماذا حدث؟ .. ماذا حدث؟ ..

أنتجونه

أحى... أسرع إلى أمي! ..!

(يقفز أوديب الى الدرج قفزاً ..
ويدخل القصر ملهوفاً فزعاً ... وخلفه
ابنته .. والجميع ينظرون اليهما جامدين
من الروع كالتماثيل ...)

كريون (يفيق ويتحرك)

ماذا حدث لأختي!؟

(يهجم بدخول القصر ...)

الكاهن (يمسك به ويبقيه)

إبق يا كزيون .. مكانك الآن بين هذا الشعب ..
الذي انصرف عنه رعاه .. وشغل عنه حماته .. إنا
نقدر ما يمرضك من ألم ، وما يخالجك من شعور .. فإنا
أنت إلا غصن من هذه الشجرة المالسكة ، وعضو في
هذه الأسرة المنكوبة .. يهزك ما يهزها من أنواء وأرزاء ..
وإن إخلاصك لأوديب ولأختك ليدفعنا أن نطلب اليك
أن تضع في يدك دفة هذه السفينة ، قبل أن تغرق بنا
جميعاً .. فقم في هذا الشعب القلاق الحائر ، وثبت مركبه في
شاطئ أمين ...

كزيون

ومن يمنحني هذه السلطة ؟

الكاهن

الظروف المحيطة .. والحوادث الطاغية ، تمنحك من حق

القيام على مصلحة الشعب ، ما تمنحه الأمواج الجارفة
للملاح الحازم ، عند دوار الربابنة ، من حق النهوض
بالعبء واقرار الطمأنينة والثبات والإيمان ...

كريون

أما رأيت كيف اتهمت بالطمع في العرش؟

الكاهن

لقد سقط عنك ذلك الاتهام .. لأن الحق كان في جانبك.
لا تصغ أبداً إلا الى صوت واجبك! ..

كريون (يصيح باذنه)

صه! ..

(تنطلق صيحات من داخل القصر)

الجوقة

ما هذه الأصوات المفزعة الصاعدة من جوف هذا
القصر!؟ ..

الكاهن (يلتفت نحو القصر)
ماذا وقع ؟! ان الأمور فيما أرى تزداد سوءاً! ..

كريون (يهيم بالذهاب)
دعني اذهب لأرى ما حدث! ..

الكاهن (يبقيه)
مهلاً! .. هذا خادم يخرج إلينا من القصر! ..

الجوقة
انظروا إلى هذا الخارج من القصر ، وفي عينيه آيات
الهلح! ..

الخادم
يا أهل طيبة! .. لقد ماتت الملكة جوكاستا! ..

الجوقة
ماتت! ؟!

كريون
أختاه! ..

(يهرع إلى داخل القصر)

الخدّام

ميتة ارتعدت من هولها الفرائص .. واليكم ما حدث ..
إذا كان يعنيكم أن تعلموا ...

الجوقة

تكلم .. تكلم .. قص علينا كل ما حدث ! ..

الخدّام

لم نر شيئاً في أول الأمر .. ولسكننا سمعنا انتجونه تصيح قائلة :-
« أين أبي ؟ أين أبي ؟ .. فلما سألناها عما بها قالت إن أمها
نهضت من فراشها ، وقبلتها وقبلت اخوتها .. وزعمت
لهم أن التعب قد نال منها ، وأنها تريد نوماً طويلاً ..
وجدبتهم إلى خارج حجرتها .. ثم دخلتها وأوصدت
الباب عليها من الداخل ، وقد شعت عيناها بهريق يثير الخوف
ويبعث على القلق ... بعدئذ لم يسمع الصغار من خصاص

الباب ، إلا صيحات مكتومة وزفرات مخنوقة . . ثم سكون
مطبق رهيب . . وانطلقت اتيجونه خارجة اليكم كما رأيتم ،
تخبر أباه . . فبادر أوديب في أثرها إلى الحجر الموصدة
يطرقها كالمجنون ، ولا من يجيب . . فجأركلو حش المخوف ،
وحمل على الباب بسكتفيه حتى أسقطه . . . وهنا رأينا
مشهداً جمدت له في عروقنا الدماء ! . . الملكة جو كاستا
معلقة من عنقها بحبل ، تتدلى في الهواء . . وكل شيء من
حولها ساكن سكون القبر . . فما كاد أوديب يراها على
هذه الحال ، حتى اندفع إلى الحبل فجذبه . . وإذا جثة الملكة
تهوى باردة على الأرض . . عند ذلك أبصرت عيوننا
أبشع منظر وقعت عليه عين بشر . . فقد جن جنون
أوديب ، وانحنى على جثمان جو كاستا يمرغ خديه على خديها ،
ويمسح رأسه بقدميها . . ويصيح : « إلى بسيف . .
سيف ! .. إني ما تحملت هذه الحياة الشقية إلا من أجلك ! ..
يا زوجي وأمي ! . . » فلما جمدنا في مكاننا وذهلنا عن

ندائه .. زأركالأسد الجريح .. وصاح : « يبطنون عليّ
بأداة الموت أيضاً ! .. لا حاجة بي إلى السيف ..
هاكم ماهو أفضح من الموت وأشد وأوجع ! .. » وامتدت
يده كمخلب الباشق ، إلى صدر الثوب الملوكي ، الذي ترتديه
جوكاستا ، فانتزع منه مشابكة الذهبية ، وطعن بها عينيه
طغناً عنيفاً متصلاً .. وهو يقول : « لن أبكيك إلا
بدموع من دم ! .. » ومضى يخرق بالمشابك أجفانه
ويزق أهدابه .. والدماء تسيل من عينيه مدراراً ..
صابغة بلونها القاتم ، صفحة خده .. كأنها أسطر سوداء
لحكم قدر صارم ! ..

الجوقة (ومن بينها أصوات نساء)

كفي ! .. كفي ! ..

الكاهن

وأين هو الآن هذا الملك التعس ؟

الخادم

يتخبط في أرجاء القصر ، ويتلوى من آلامه ! . .

الكاهن

أما من أحد يخف إلى إسعافه ؟ ! .

الخادم

وماذا يجدى في علاجه الآن ؟ . . انظروا . . ارى
ذراعيه تضربان الفضاء ، متمسكة طريق الخروج من
القصر ! . .

(أوديب يظهر مكفوف البصر والدم

في وجهه وعلى ثيابه)

الجوقة (في صيحة فزع)

ويلاه ! . .

أوديب (يتقدم متعثراً)

أين ساقتي قدامى ؟ ! . .

الجوقة

لماذا أحدثت بنفسك يا أوديب هذا الأمر ، الذى يؤذى
منظره النفوس ! ..

أوديب

هذا أنت أيها الشعب الكريم ! .. التمس العفو منك
والمعذرة لى ... ما كنت أود أن أؤذى أبصارك
بمنظر كرية ! . ولكنى أتلس طريق الذى لم يبق لى سواه ..

الجوقة

ما هو هذا الطريق يا أوديب ؟

أوديب

طريق الموت .. هناك خارج أسوار طيبة .. سأهيم على
وجهى فى البرية .. حتى أصادف وحشاً يفترسنى ، ويحط
طير يطعم من بقايا أشلائى ! ..

الكاهن

لن ندعك تذهب الى حتفك ! .

أوديب

رحمة بي .. لا تسدوا في وجهي السبل بعد الآن .. لقد
أبيتم علينا النفي ، حتى فات أوانه .. فلم يبق لي إلا ملاقة
الحتف ...

الكاهن

الن تخطو إليه بقدميك ! ..

أوديب

من يمنعني ؟

الكاهن

الآله .. إذا رأى أجلك لم يحن بعد ! ..

أوديب

وما حظ الآله من الأمعان في تعذيبي ؟ ! . أما استوفى حقه
من عقابي بعد ! ؟ ..

الكاهن

ربما يريد بك خيراً .

أوديب

أى خير يمكن أن يحل بي بعد اليوم؟ .. وقد انطفأ من
حولى النور! .. كل نور قد انطفأ .. فى عيني وفى قلبي ..
لقد دثر حياتى ظلام أبدي .. كأنه رداء حداد لن يخلع
عنى أبداً ...

الكاهن

لو أنك أردت أن تدنو من الآله ، فأشعلت له فى نفسك
مسرحة ، لأضأت لك فى أحلك لياليك .. وليكنك آثرت
أن توقد فى عقلك مصابيح .. انطفأت كلها عند عصفه من
عصف الريح! ..

أوديب

لا تلمنى أيها الكاهن .. ولا تنتقم منى! .. لقد أضأت حقاً
تلك المصابيح لأبحث عن الحقيقة! .. ولقد حذرني يوماً
ترسياس من أن تلمس أصابعى وجهها .. وتدنو من عينيها!
إنها لا تحب من يمدق إليها أكثر مما ينبغى! .. نعم .. لقد

دنت هذه الأصابع منها أكثر مما ينبغي .. حتى اقتلعت عيني
أنا! .. لقد انتقمتم هي .. تخفف عني أنت أيها الكاهن! ..
إنني في حاجة إلى رثائك ورحمتك! ..

الكاهن

وما تنفعك رحمتي؟! .. وقد نزلت بك كل هذه الخطوب؟! ..
ولكنني أستنزل عليك رحمة السماء! ..

الجوقة

هذا كريون يخرج من القصر شاحب الجبين! ..

أوديب

كريون قادم؟! .. سلوء العيون لي، والتخفيف من آلامي؟! ..

كريون (وقد ظهر)

لماذا فعلت بنفسك هذا يا أوديب؟! .. وما الذي ترجوه مني
تخفيفاً لآلامي؟! ..

أوديب

دعوني أذهب بعيداً عن طيبة! .. اطرّدوني من أرضكم كما
تطرّد اللعنة! ..

كريون

لا تسألني ذلك يا أوديبي !!

أوديبي

لن أطلب اليك ، يا كريون ، الرحيل بأهلي .. كما طلبت أول مرة .. فالظروف قد تغيرت الآن كما تعلم .. سأذهب بمفردى .. تاركاً لك أولادى .. ترعاهم بعنايتك .. فأنت لهم خير أب .. وأوصيك بالبنيتين خيراً يا كريون .. وأنتجونه على الأخص .. لقد كانت شديدة اللصوق بى .. فحاجتها إلى حنانك أشد وأكثر .. ها أنت ذا ترى ان الأمر هين عليك إقراره .. فقد عهدت اليك بأسرتى وأسرتك .. أى ما تبقى منها .. أما أنا فما فى بقائى من نفع .. لم أعد أصلح للبقاء .. لقد صدقت جو كاستا العزيزة .. حملتها عبثاً على الحياة .. وقد قاومت كما قاومت .. وليسكن شيئاً أعظم بأساً وأقوى بطشاً قد انتصر .. وبذهاب جو كاستا أدركت قوة ذلك الشيء الذى أرغمها على الموت .. وفهمت ان حياتى أمست هى الأخرى عدماً من العدم .. فكففتها من الفور فى الظلام !!

كريون

ألك من مطلب آخر يا أوديب ؟ . .

أوديب

نعم . . لا تنس أن تجرى الطقوس الجنائزية اللائقة
بدفن تلك المسجاة في حجرتها ! . . إنها أختك . وإني
مطمئن إلى حسن قيامك بواجبك .. ليس لي بعد ذلك من
مطلب ، إلا أن أوصيك مرة أخرى بأطفالي . . وإني
لأطمع في نبلك يا كريون . . وأسألك أن تبعث في طلبهم
الساعة ، لألمسهم بيدي . . .

كريون (يشير إلى الخادم قرب باب القصر)

كنت قد رأيت إقصاءهم عن هذه المشاهد المؤلمة ! . .

أوديب

مرة ربما كانت هي الأخيرة .. لو أذنت أيها الرحيم كريون ..
ألمس وجوههم البريئة بأصابعي . . وأتخيل ملامحهم . .

وأأمل في رأسى صورهم . . . ماذا أسمع ؟ . . . ذلك
وقع أقدامهم الصغيرة . . . وذلك نشيج أعرفه من أنتجونه . . .
إنهم آتون . . . أتراك رحمتى يا كريون ، وأرسلت في
إحضارهم ؟ ! .

(أنتجونه خارجة من القصر تقود اخوتها)

كريون

لقد أمرت بأحضارهم لك يا أوديبي . . . فأنا أعلم مقدار
حبك لهم . . . ها هم أولاء على مقربة منك ! . . .

أوديبي (يمد يده في الهواء)

شكراً لك يا كريون ! . . . أين أنتم يا أولادى ؟ ! . . .
لست أراكم . . . ولن تبصركم عيناى بعد اليوم . . .

أنتجونه (وهى تكفكف دمعها)

هون عليك يا أبتاه ! . . . ما دامت لى أنا عيناى ، فهنا
لك . . . لن تسكون وحيداً . . . سأكون إلى جانبك
حيث تسكون . . .

أوديب

أنتجونه بنيتي ! . . لا يرضى قلبي أن أجرك معي في
طريق الشقاء ! . . مكانك هنا إلى جانب خالك واخوتك ! .

انتجونه

لا مكان لي إلا بالقرب منك يا أبتى ! . . أبصر لك . . .
ألا تذكر أنى تقمت يوماً أن أرى الأشياء بعينك . . أراها
كما تراها أنت . . سأحاول أن أبصر الأشياء كما تبصرها . .
لن أشعرك يوماً أنك فقدت ناظريك ! . .

أوديب

بل أنا الذى كنت أتوق أن أرى الوجود صافياً طاهرآ من
خلال عينيك ! . . ولـسكنى لم أعد أستحق ذلك . . ابقى
يا بنيتى بعيداً عني . . إن شبابك النضر هو ملكك لا
ملكى . . لن آخذه منك . . فأرتسكب جنابة أخرى . . .
عيشوا حياتكم يا أولادى . . وانفضوا أيديكم منى . . فما أنا

لكم إلا وصمة .. وما أنا عليكم إلا عبء .. يكفيكم مني
ما سوف يلقيه على غدكم ظلي المشثوم .. ستكونون أمثلة
الدهر ، ومضغة الأفواه ، والعبوة الألسنة .. وما دام
الناس في حاجة إلى أوهام تغذى خواء أيامهم ، فستكونون
أتم أسطورة الناس ! .. لا أمل لكم إلا في شخص واحد :
كريون خالكم .. اجعلوه لكم أباً .. ستجدون في كنفه العطف
والحنان .. وقد عاهدني على العناية بكم .. وها أنذا أمد له
يدي تأسيداً للعهد .. أين يدك أيها الصديق ؟ ..

كريون (يتناول يد أوديب ويشد عليها)

؟

أوديب

اتخذوا لكم يا صغاري من كريون مثلاً وقدوة .. هذا الرجل
السوى الخلق النقي السريرة المؤمن النفس .. وإياكم .. وإياكم
أن تتخذوا من أبيكم مثلاً .. بل اجعلوا لكم من مصيره
موعظة ! ..

انتجونه (تتساقط عبراتها على يد
أوديب بلا شهيق ولا صوت...)

٤

أوديب

ما هذه الدموع على يدي ؟ ! دموع من هذه ؟ ..

انتجونه (منفجرة)

لا تقل ذلك يا أبتاه ! .. لن أتخذ غيرك مثلاً أبداً .. أبداً ..
إنك بطل طيبه ! ..

أوديب

هذه أنت يا أنتجونه العزيزة ! .. ما زلت تؤمنين باني
بطل ؟ ! .. (يبكي) .. لا .. لم أعد كذلك اليوم يا بنتي ! ..
بل إنني ما كنت يوماً بطلاً قط ! ..

(أنتجونه تمسح دموع أوديب بكفيها...)

انتجونه

أبتاه ! .. إنك لم تكن قط بطلاً مثلاً أنت اليوم ! ..

تغير الرميل بعد موت
زوجته - أمه -

مقدمة *

الترجمة الفرنسية

محاكاة سوفوكليس ، وإخراج أوديب الملك من جديد — إخرجه بالعربية — ومعالجة الموضوع القديم بل الخالد ، دون ذهاب إلى وجوب التزام التقليد الحرفي أو الترجمة الأمانة أو مجرد الاقتباس البسيط — هو ذاك المطلب الجريء الذي قصد إليه توفيق الحكيم .

جريء لأننا إذا لم نتناول بالذكر غير مؤلفي المسرح الفرنسيين — مع أننا نستطيع أن نجد بين الألمان والانجليز والإيطاليين أقراناً لتوفيق الحكيم — ألفينا المؤلف المصري يتصدى لمطلب سبق أن حاوله من عام ١٦١٤ إلى عام ١٩٣٩ بحسب التاريخ المسيحي ، تسعة وعشرون مؤلفاً ، نلاقى من بينهم كورنيل و فولتير وم . ج . شفيه وكوكتو وجيد . وثمة لا يطاول توفيق الحكيم سوفوكليس وحده ،

* وجدنا من النافع أن ننشر هنا مقدمة الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب . وهي للمسبو ألويس دي مارينياك ، المتخصص السويسري في آداب اللغة اليونانية وفي تراجيديا « أوديب » بالذات ، ومؤلف البحث المستفيض عن الشعراء والنائرين الذين تناولوا مأساة « أوديب » على مر القرون . وقد تفضل بنقل هذه المقدمة إلى العربية الأستاذ عبد الرحمن صدقي . . لعل القارئ العربي يجد فيها وفي التقييم عليها أيضاً بعض مرامي المأساة في وضئها هذا .

وإنما يطاول أعلاماً من المؤلفين المسرحيين ، نشأوا في بلاد اللقن
المسرحي فيها السيادة والرياسة . وسوفوكليس يُخشى منه على من يسلك
سبيله ويقفو أثره . وحسبنا أن نذكر ماجرى ليوربيديس ، حين
جاء ، بعد مأساة « كوفورس » لسلفه « أشيلوس » ومأساة « الكترا »
لسوفوكليس ، يخرج على المسرح تاريخ انتقام اورستر وأختها من
أههما كليتمنستر ومن أجيبست غاصب عرش أجاممنون ، فلقد
جاءت مأساة يوربيديس بعد مأساة سوفوكليس كما تجيء الهزيمة .

ومن ينعم النظر في المعارضات الفرنسية التسع والعشرين
لأوديب الملك لسوفوكليس يتضح له جلياً أنه إذا كان قد أمكن
معارضة أبلغ المؤلفين الأثينيين في مأساته فإن أحداً لم يبلغ إلى
التفوق عليه قط ، ولا إلى مساواته فحسب .

ثم إن هذا لا يرجع إلى تفوق المسرح القديم على المسرح
الحديث عامة . فإن مأساة « فيدر » لراسين أجمل من بعض النواحي
وأصدق في التحليل النفسي وأوثق في البناء من مأساة « هيبوليت »
ليوربيديس وهي مع ذلك — دون مرأ — تقليد لها أمين إلى حد
كبير . فالأمر راجع إلى موضوع أوديب نفسه وهو موضوع
موافق تمام الموافقة للوسائل المسرحية التي يملكها المسرح اليوناني
لتأدية ما يجب تأديته ، كما أنه موافق تمام الموافقة لروح هذا المسرح

الذي تخلع عليه أصوله المتصلة بأعياد إله الخبز طابعاً دينياً فلسفياً
في جوهره وصميمه . وما من شك في أن أسطورة أوديب تشير
موضوع القدر ، القدر القاسى المحتوم الذى لا اختيار فيه ولا مرد
له يجثم بكل وطأة ثقله على امرئ من قبل ميلاده ، قاضياً عليه أن
يقبل آناه وينزوج أمه . ويجهد المرء جهده ما يستطيع للخلاص من
هذا القدر المحتوم فلا يستطيع إلا ارتكاب هذين المنكرين
الفظيعين اللذين كتب له ارتكابهما .

أما في العالم المسيحي ، وعلى الأخص في العالم الكاثوليكي ، فإن
فكرة قضاء محتوم أعشى ، قضاء تدبره الآلهة في خبث ومكر وإرادة
للأذى والشر ، فكرة لا يمكن ورودها على البال بحال من الأحوال .
ولقد كتب الأب الجزويتى فولار من أبناء القرن الثامن عشر رواية
عن أوديب فلم يفته التعارض بين الفكرة المسيحية الغربية وبين
الفكرة اليونانية ، فحاول أن يفرق بين قضاء الله وبين تصرفات
الملك قاتل أبيه ومضاجع أمه ، وأن يلقي تبعه الذنب كله على أوديب
وحده . أما الوحي الذى ألقته به الآلهة إياه ، فلم يكن أمراً مقضياً
من القدر ، وإنما هو نذير وتحذير شاء الله فى لطفه أن يلقي به إلى
الإنسان تنبيهاً له إلى الأخطار التى هو وارد عليها إذا اتبع شهواته
ومضى فى غلوائه . وعلى الضد من ذلك كوكتو فى « الآلة الجهنمية »

فهو يشهدنا في طريقة عريضة في اليونانية على مطاردة الآلهة لبريء
من الأبرياء وإنزال القصاص به عفواً من غير اقتضاء ، على حين
يحاول « جيد » أن يظهرنا من وراء نفاذ أمر القضاء على أن الإنسان
ما برح مختاراً لأحواله حر التصرف في أفعاله .

ومعلوم للكافة — ولا حاجة بنا إلى معاودة ذكر الأسباب —
أن هذه المعارضات الفرنسية الثلاث لسوفوكليس دون مستوى
النموذج اليوناني ، على الرغم من أن هؤلاء الثلاثة المؤلفين دون
مواطنيهم أجمعين قد أدركوا أن موضوع أوديب يقوم في صميمه
وجوهره على هذه المشكلة الفلسفية ويكاد يكون منحصرأ فيها .

ويطالعنا اليوم توفيق الحكيم ، وهو — من حيث هو مسلم
ينتمي إلى عالم لا يرفض فكرة القدر على أنها سخيصة باطلة ، ولا
يدين بما يدين به العرب في تصوره للعلاقة بين الرب والعبد. — يبدع
على الخصوص في موضع أوفق وأدعى للنجاح في مجال كان الإخفاق
فيه نصيب عامة المؤلفين المسيحيين من مقلدي سوفوكليس .

واتوفيق الحكيم — كما يعرف الذين قرءوا له « مشكلة الحكم »
طريقة خاصة به في تصوره لمحاكاة القديم . فهو لا يعرض للنموذج
في ظاهر مبناه بتعديل أو تبديل إلا بالقدر الذي يقتضيه المعنى
الجديد المراد صبه في هذا القالب ، ولكنه يتوفر على تحويل

المسائل القديمة إلى أغراض حديثة عصرية ، وأن يجعلها أقرب إلى الإنسانية ويردها إلى نطاق أكثر عموماً . ومن ثمة كانت بينه وبين « أنوى » آصرة وقربى . ولكنه يختلف عن « أنوى » في أن مؤلف « انتيجون » الحديثة يجعل من هذا التجديد عملية قائمة على قواعد مقررة ونهج مرسوم ، فلا يتكاد يمحى فيها حتى يضيق بها المتفرج . أما توفيق الحكيم فهو في أرايته وسخريته ويقظة رشده يخلع عن الأبطال الأقدمين تلك العظمة التي أضفتها عليهم الأساطير ليعيرهم عظمة غيرها — عظمة تصدر عن فضيلاتهم البشرية دون سواها . فلم يلق « أوديب » توفيق الحكيم ذلك الأسفنكس الذي تتحدث عنه الأسطورة ، وما من وحش مفترس ألقى عليه لغزاً لم يسلم إلا بحله . بل قنع المسافر البطل بأن صرع أسدأ كان يحول في سفح جبل ستيرون ويفتك بأهل البلاد ، شأنه شأن الوحش الأسطوري الذي كان يفتك بالغنم في إقليم فاله الموحد في سويسرا ، واتضح عام ١٩٤٦ أنه لم يكن إلا ذئباً من الذئاب الضارية في تلك الناحية .

أما الذي لفت قصة الأسفنكس الخيالية فإنما هو تيرسياس العراف ، ذلك السياسي البارع والخبير العارف بالناس الذي فطن إلى ما يمكن أن تستخرجه الدعاية من هذا الحادث الصغير . فقد كان عليماً بمبلغ ميل العوام إلى كل ما فيه إيهام وتهويل . فعمد — وقد اجتمع في شخصه ميكيا فلي وجوبلز — إلى الفتي الساذج

صارع الوحوش فأجلسه على عرش ثيبيا ، فكان كل ذنبه أن قبل
الدور الذي أراده العراف على لعبه . وهكذا بات أوديب رهناً
أسيراً لا كذوبة سياسية لا معدى له عن العمل على تقريرها في
أذهان الناس وفي أذهان ذويه ، جو كاست وأولاده الذين كانوا
لا يملون من سماع هذه القصة البديعة التي يقوم عليها ما يباشره الملك
من سلطان على ثيبيا .

وهذا تصرف بارع وفيه مصلحة وخدمة تامة للغرض العميق
الذي يتوخاه المؤلف . فلقد نزل أوديب من قاعدته المنصوبة في
الأساطير ، وترط في أ كذوبة ثقيلة الوطأة عليه ، وبالجملة أصبح
إنساناً مثل سائر الناس . ولن يصبح عظيماً إلا بمسلكه ونوع موقفه
أمام الكارثة . ولا يتساءل توفيق الحكيم عن « الموجب » لهذه
الكارثة ؟ ويقنع بأن أوديب الذي جعل منه إنساناً قد قتل أباه
وتزوج بأمه . وعندما يمثل أوديب للمقتضيات السياسية التي تضطره
إلى البحث عن قاتل لا ييس ، فإنه يؤدي على النحو الواجب صنعته
كمملك ، ويدير التحقيق بالذكاء والعناد العاقب الذي جعلها سوفوكليس
من نصيبه ، فإذا هو يواجه شيئاً فشيئاً فظاعة الكارثة . وهنا يتجلى
مسلكه رائعاً عظيماً إذ ينزل بنفسه أفضع العقاب فيسترد في المجال
الخالق تلك العظمة التي نزعها عنه توفيق الحكيم في المجال الاسطوري . ثم

إن الشخصيات الأخرى — جو كاست واتي جون وأولاد أوديب
الآخرون — هم في مسرحية توفيق الحكيم أعلى سنا منهم في مأساة
سوفوكليس ومن ثمة كان اشتراكهم في القصة العصرية أكثر حركة ،
وقد تناولهم توفيق الحكيم مثل تناوله لأوديب ، فهم أيضاً مخدوعون
بأكذوبة تيرسياس يخلعون على الملك عظمة مكذوبة ، عظمة
الأسطورة ، ولا يتبينون عظمتها الحقيقية ، وهي عظمة محض
إنسانية ، إلا حين يواجهون رزاه ، حين يواجهون نوع إدراكه
لما يجب أن تكون عليه العاقبة . ولا يبقى غير تيرسياس ، تيرسياس
الذي يمثل هادم الأساطير ، والذي يشق الإهاب وينزع القناع الذي
أعجب به الزمن القديم في غرارته ، أجل تيرسياس وحده هو الذي
يبقى سليلت اللسان قارص الكلام ، وعلى شفثيه ابتسامة ساخرة
حتى النهاية .

والمحاولة ممتعة ، وليس هنالك ما يمنع الكتائب العصرية مقدماً
من أن يستخدم لمراميه الخاصة تلك الخرافة التي استخدمها
سوفوكليس لتصوير جبروت القدر وفزعات الإنسان الواقع في
حبائله ، يجاهد للفكك على غير جدوى ، بل تفضي كل حركة من
جهاده إلى توثيق الشباك وتوكيد انتصار القدر . ولكن ، أترى
هذه الخرافة الخاصة كل الخصوص تقبل كما تقبل الكثيرات غيرها
تعبيراً غير التعبير القديم ؟ إن المحاولات الفرنسية التسع والعشرين

التي أسلفنا الإشارة إليها تجيب - فيما يظهر - على هذا السؤال
بالنفي . .

فهل ترى نجاح توفيق الحكيم في إقامة الدليل على أن خرافة
أوديب يمكن تحويلها إلى مقاصد غير التي كانت ماثلة قيد نظر
سو فوكليس حين كتب مأساته ؟

إن القارئ - والمتفرج فيما أرجو - قد يقضى مما يخالف
رأبي. فأنا من ناحية أرى أن أوديب هذا الذي ولد على ضفاف النيل
كأمثاله المولودين في فرنسا لا يسلم من تناقض ، وذلك أن الخرافة
هنا أقوى من المؤلف الذي يستخدمها . فلا غرو إذا كان توفيق
الحكيم وقد توخى استخدام الموضوع القديم للتعبير عن أفكار
نفسانية وسياسية لم يستطع - شأنه في ذلك شأن فولتير وشان
جيد - أن يمنع مسألة القدر المحتوم من معاودة الظهور في أكثر
من موضع . فلقد بلغ من قوة هذه الخرافة أنها لا تدع لمن أراد
استخدامها إلا النزر القليل من حرية التصرف . . وهذا الجانب
من الحرية قد استخدمه المؤلف المصري جهد ما في المستطاع
استخدامه ، وعلى نحو يطرب له كل من تشغله هذه المسألة التي
عرضت لروما المتثقلة باليونانية ، كما تناولتها من بعدها أوروبا
الناهضة ، وما زالت حتى اليوم ماثلة تشغل الأذهان ، وهي مشكلة
من أعظم المشاكل وأصعبها : مشكلة محاكاة القديم .

أ. دى مارينياك

تعقيب

على المقدمة الفرنسية

عزيزى مسيو دى مارينياك :

إن إخفاق ثلاثين مؤلفاً في مختلف العصور ، منهم الوثني
والمسيحي ثم أخيراً المسلم ، أمام مأساة « أوديب » هو في ذاته
مأساة .. وعلّة هذا الإخفاق تحتاج هي أيضاً إلى دراسة .. وعلى
الرغم من الحيلة التي اتخذتها حتى لا أمس بسوء تراجيديا سوفوكل
في قوتها الدرامية ، فإن شيئاً قد فاتنا ، هو بلاريب ، في غير متناول
أيدينا .. ذلك راجع كما قلت أنت إلى « موضوع أوديب نفسه ، وهو
موضوع القدر القاسى المحتوم ، الذي لا اختيار فيه ولا مرد له ،
يجم بكل وطأة ثقله على امرئ من قبل ميلاده .. ها هنا سر القوة
في مأساة سوفوكل . من ارتضى هذه الفكرة ، ومضى بها لا يلوى
على شيء آخر ، فقد سلم إلى حد ما ، على شريطة أن يكون بها مؤمناً
إيمان الأغر يق الأقدمين .. ذلك ان كارثة المؤلف الذي يتصدى
لأوديب هي انه لا يريد أن يقبل هذه الفكرة ، أو يتخذها قاعدة
لعمله .. فإن المسيحي المتدين لن يقبلها على صورتها العنيفة ،
والمسيحي المتحرر لن يقبل غير الإنسان متحكماً في مصيره .. وكلهم
مع ذلك لا بد لهم من أن يواجهوا الخرافة في قصة أوديب ، إذ بغير
هذه الخرافة لا توجد القصة على الإطلاق .. تلك الخرافة التي قضت

على أوديب من قبل ميلاده أن يتلقى ضربة القدر المحتومة .. وهكذا
واجه المؤلفون هم أيضاً نوعاً من «أبي الهول» يقطع عليهم الطريق:
هو ذلك «التناقض» الذي يتعمون فيه، كما تقول. فهم لا يستطيعون
قبول الخرافة كما هي، ولا يستطيعون في عين الوقت تناول قصة
أوديب بغير الخرافة... أما فيما يتصل بي باعتباري مسلماً، فإن
عقيدتي الدينية ترفض فكرة الله المدبر لأذى الإنسان تدبيراً سابقاً
دون مقتض أو جريرة.. بل إن فكرة التدبير السابق لما سينزل
بالإنسان من أحداث، لا تجد قبولاً عند أهم الفلاسفة من المسلمين،
فإن رشد يقول عن الله: «إنه يريد لكون الشيء في وقت كونه،
وغيره يريد لكونه في غير وقت كونه. فأما أن يقال إنه يريد
للأمور المحدثة بأرادة قدمة فبدعة..» فإذا رجعنا إلى فقهاء الدين،
وجدنا أن أبا حنيفة يرفض الانحياز إلى الجهمية وأصحاب المذهب
الجبري، ولا يسلم كذلك بأرادة الإنسان المطلقة، ولكنه يقف
من هذه المشكلة العويصة الموقف الذي أردت أنا أن أتبعه فيه، عند
تناولي «أوديب».. قال أبو حنيفة: «إني أقول قولاً متوسطاً، لا جبر
ولا تفويض ولا تسليط، والله تعالى لا يكلف العباد بما لا يطيقون، ولا
أراد منهم ما لا يعملون، ولا عاقبهم بما لم يعملوا، ولا سألهم عما لم
يعملوا، ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم، والله يعلم بما نحن فيه.»
هذه الحقائق عن الإسلام يبدو لي أنها مجهولة في الغرب..
فالغربيون ما زالوا يعتقدون أن فكرة القدر عند المسلمين مقبولة

على النحو الذي كان معروفاً عند قدماء اليونان الوثنيين .. ولقد
عدت إلى معجم « فلانماريون » ثم إلى معجم « لاروس » أنقب
تحت كلمة « قدر » .. فعجبت إذ وجدت هذين المعجمين ينصان على
أن القدر المطلق المحتوم هو عقيدة اليونان والمسلمين .. وادركت من
ورود كلمة « مكتوب » في معجم « فلانماريون » أن هذه الفكرة الخاطئة
دخلت أوروبا عن طريق النسر البعدي لا عن طريق التثبت العلمي ..
إذا استبعدت هذه الفكرة الخاطئة الشائعة ، واستحضرت قول
أبي حنيفة « .. ولا عاقبتهم بما لم يعملوا .. ولا رضى لهم بالخوض فيما
ليس لهم به علم .. الخ » . فأن من السهل أن تفهم تصرف « أوديب »
عندى .. فهو قد ترك كورنت باحثاً عن الحقيقة ، خائضاً فيما ليس
له به علم .. فجزته رغبته في العلم بالحقيقة إلى ماجره العلم الحديث على
الإنسان الحديث ممثلاً في « فرويد » عندما طفق يحفر في أعماق
الإنسان إلى أن وجد أنه عاشق في الباطن لأمه ! ..

« فالموجب » لكارثة أوديب عندى لا يمكن أن يكون حقد
الآلهة المنطوية على الكيد والشر .. ولا يمكن كذلك أن أكون قد
أردت إسقاط المسألة .. لتعارضها مع عقيدتى .. ولسكنى كما ترى
قد جعلت الموجب للكارثة طبيعة أوديب ذاتها ، طبيعته المحبة للبحث
في أصول الأشياء ، الممعة في الجرى خلف الحقيقة ..
على أن كارثة أوديب لها عندى موجب آخر .. هو عمل

ترسياس ، وتدخله في الأمور السائرة في مجراها .. ان كثيرا من
الانقلابات التاريخية والمحن البشرية يرجع في أغلب الأحيان إلى
إرادة رأس كبير وتمرد بصيرة عمياء .. إن هنالك شراكاً إلهية بدون
ريب ، قد نصبها الله .. لا لأنسان بعينه .. بل لأي انسان يخرج
على النواميس .. شأنها شأن تلك الفخاخ التي ينصبها صاحب الحقل
لاقتناص الثعالب التي تفسد الكروم .. إنه لا يقصد بها ثعلباً
بالذات .. نعم ، إن الله يمكر ويسخر .. من الماكرين والعاثين ..
متى يفعل ذلك ؟ .. متى تكون السخرية الالهية ؟ .. أكانت منذ
الأزل ، حين وضع الله الناموس وجعل إلى جانبه مصيدة ..
متوقفاً لها ضحية في وقت من الأوقات ، لا يعنيه اسمها ولا شخصها ؟ ..
أم أن المخالفة تقع أولاً ، فيطرح الآله بعدئذ على مرتكبها الشبكة
في حينها ؟ .. هذا مجال ليس لنا أن نخوض فيه .. كل ما أردت
أن أقول هو إن الصراع عندى في أوديب لم يكن بين آلهة عتاة يبطشون
ببرى ويتعقبونه لذاته .. ولكنه صراع بين إرادة الآله وإرادة الانسان .
على أن ذلك كله لا يخلينا من صعوبة المشكلة .. ولقد رأيت
أنت جانباً واحداً من جوانب هذه الصعوبة .. هو محاولتى استخدام
الخرافة القديمة التي لا تقبل في صراحتها لبساً ولا غموضاً ، في أغراض
تتعارض مع صميم الخرافة .. ولكن هنالك جوانب أخرى من
الصعوبة . منها اضطرارى إلى التعرض لمسألة الجبرية والقدرية ..
في حدود لا يمكن أن تتسع لها التراجميديا دون أن تفقد روعتها

الفنية .. وهي مسألة تحطمت على صخرتها أدمغة الفلاسفة وفقهاء
الدين في مختلف العقائد .. وانتقلت في العصور الحديثة من ميدان
الدين والفلسفة إلى ميدان العلم .. فقضية الجبرية والقدرية أصبحت
اليوم قضية علماء البيولوجيا والطبيعة والكيمياء .. وانهم الآن
ليتساءلون : إلى أي حد تكمن في النطفة من صفات الوراثة ما يجعل
الأبناء مسيرين مجبرين مقيدين بصفات وشخصيات صنعت لهم
صنعاً؟ .. وإلى أي مدى يعتبر الجسم الانساني آلة دقيقة .. يسير
كل شيء فيها بحسب مرقوم .. وفي اتجاه محتوم ؟ والخلاف في
ذلك شديد بين العلماء كما كان بين الفلاسفة .. على أن المعروف
اليوم أن هنالك مقداراً من الجبر ومقداراً من الحرية يسيطران
على تصرفات الأحياء والجمادات .. فحتى في عالم الغازات، يوجد شيء
من الحرية والانفلات خارج نطاق قوانينها الصارمة .. ذلك أن
وجود القانون يستلزم وجود الخروج على القانون .. وهذا يستلزم
أيضاً نوعاً من العقاب .. ليس في اختلال النتائج وحدها .. بل في
إعادة الخلل إلى النظام .. ورد المتمردين إلى موضعه .. ففي كل ذرة
أو خلية ناموسها وإلى جانب هذا الناموس شراكة الساخره التي يقع
فيها الخارج عايه فترده إلى مكانه من النظام العام .. كل هذا داخل
ضمن القانون الأزلي الذي يسير عليه الكون ..

وروح الاسلام يتمشى مع هذه النظرة .. لذلك كان لا بد لي
أن أخضع قصة أوديب لهذا التفحص ، وإذا كنت قد لاحظت أنني

جردت أوديب من عظمته الأسطورية ، لأضفي عليه عظمة أخرى صادرة عن فضيلته البشرية .. فأن ذلك راجع أيضا إلى روح الدين الاسلامي الذي يفاخر بأن نبيه العظيم بشر .

كل هذه المقاصد لا توصلنا إلى شيء ، ما دمتنا قد اخفقتنا في استخراجها من صميم الخرافة القديمة التي قامت عليها مأساة «أوديب» . ولست أدري إلى أي مدى كان اخفاقي أنا بالذات ، بالنسبة إلى التسعة والعشرين السابقين ؟ . ذلك أن مهمتي أعسر من مهمتهم .. فهم بحكم ثقافتهم اللاتينية واليونانية لا يجدون هذا العمل غريباً عليهم ولا على آدابهم القائمة على آداب الأغريق واللاتين ! .. في حين أحاول أنا اليوم أن أرسى هذا الفن الجديد في آدابنا العربية على قواعد اليونانية .. وهو العمل الذي كان يجب أن يصنع لدينا منذ قرون .. لقد أنفقت سنوات أربع في هذه المحاولة .. أدرس بغير عجلة كل موقف وكل شخصية وكل قضية .. وأعني بتفصيلات ودقائق تحتاج إلى تحليل جديد ، ترضاه عقولنا العربية الاسلامية .. هذا الوحي الذي ذهب اليه كريون في معبد دلف ! .. كيف يستطيع أن يعلم بمقتل لا يوس ؟ ! . ثم هذا الطعن الذي أتزله أوديب بعينيه ؟ .. أكان إمعانا في الكبرياء كما ذهب « جيد » ؟ أم رغبة في أن يبلغ أوديب أوج الشقاء كما بلغ أوج المجد .. كما ذهب « كوكتو » ؟ .. في رأي أن ذلك كله من قبيل التفسيرات الأدبية الذهنية .. ولكن

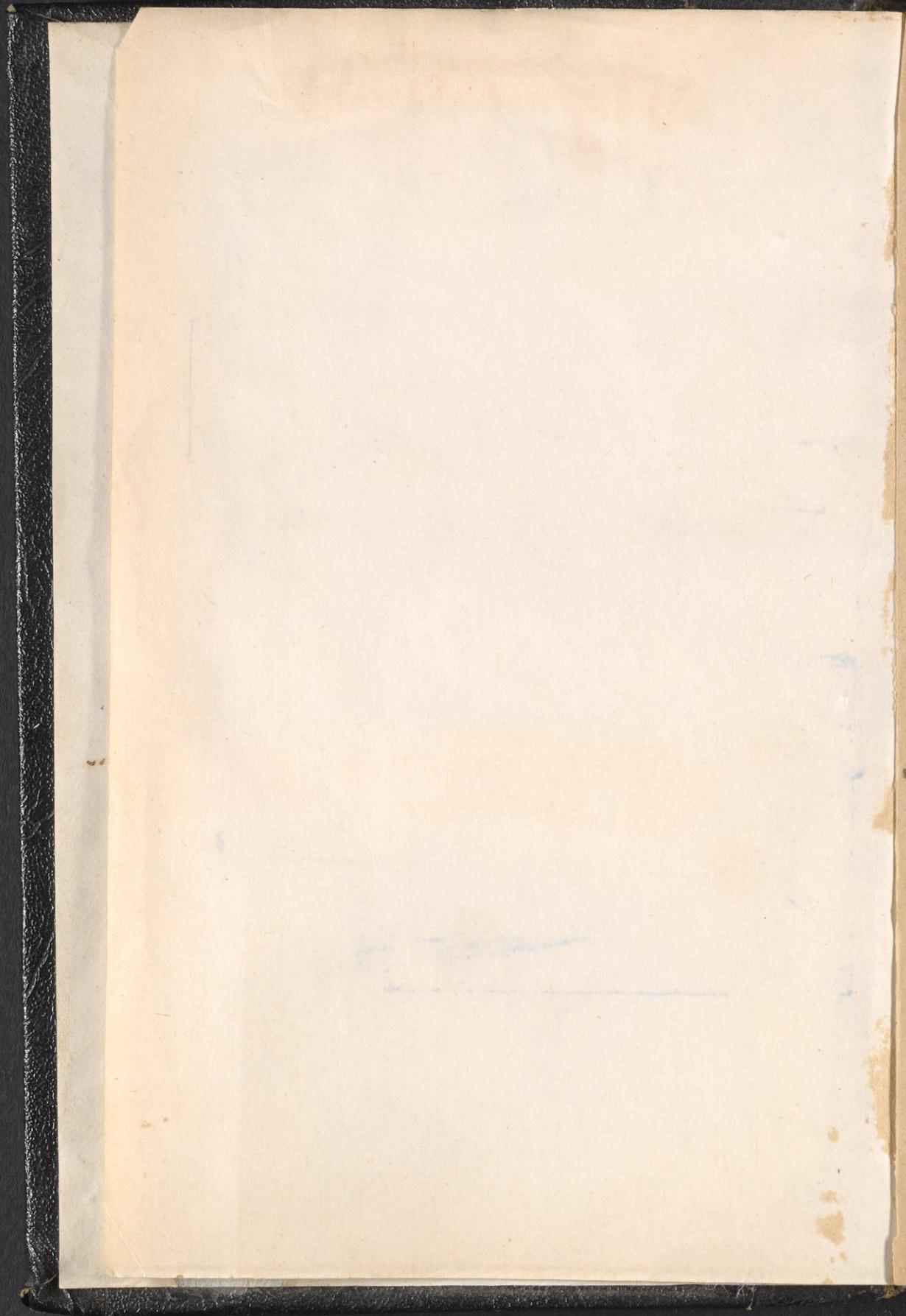
أوديب عندي كان شديد التعلق بأسرته ، عميق الحب لجوكاستا . .
وكانت فجيعة فيها وهو يراها على هذه الميتة البشعة أشد مما احتمال . .
كانت لحظة جنون طارئة عصفت برأسه من غير شك ، فلم يشعر فيها
بنفسه وهو يضرب عينيه ويصيح بالملكة : « لن أبكيك إلا بدموع من
دم ! .. » هذا تفسير لم استطع أن أقبل غيره . . وسوفوكل لم يوضح لنا
ذلك لأن الخرافة التي ارتكز عليها في كل قوتها وعنقها . . تعفيه من
أى إيضاح . . فشعور أوديب أنه تلقى هذه الضربة من الالهة العاتية
ومن أبولون على الأخص ذلك الحاقده عليه . . جعله يرى الحادث
لعنة حقيقية ، لم يجد لدفعها سبيلا إلا أن ينزل بنفسه تلك الفضاة ،
التي قد تستدر عطف السماء . . ولكن أوديب عندي لم يستطع
التسليم لحظة بأن ما حدث أقوى من حبه لجوكاستا . . ما من شيء
عنده أقوى من حبه لها . . فهو قد فعل بنفسه ما فعل من أجلها وحدها . .
وغير ذلك دقائق كثيرة وتفصيلات جمّة ، يستطيع الباحث
الدؤوب أن يستشف منها عقبات وصعوبات وقفت في وجه كل
من حاول التصدي لمأساة سوفوكل . .

وما اعتقد أن أحداً من هؤلاء . . مرت بمخاطره برهة واحدة
فسكرة التحليق إلى مستوى النموذج اليوناني . . فإن كماله الفني
يرجع . فضلا عن عبقرية سوفوكل ، إلى قوة الخرافة في جوهرها
الوثنى الأصيل ، وإيمان الشاعر بها ، واستخراجه كل المأساة

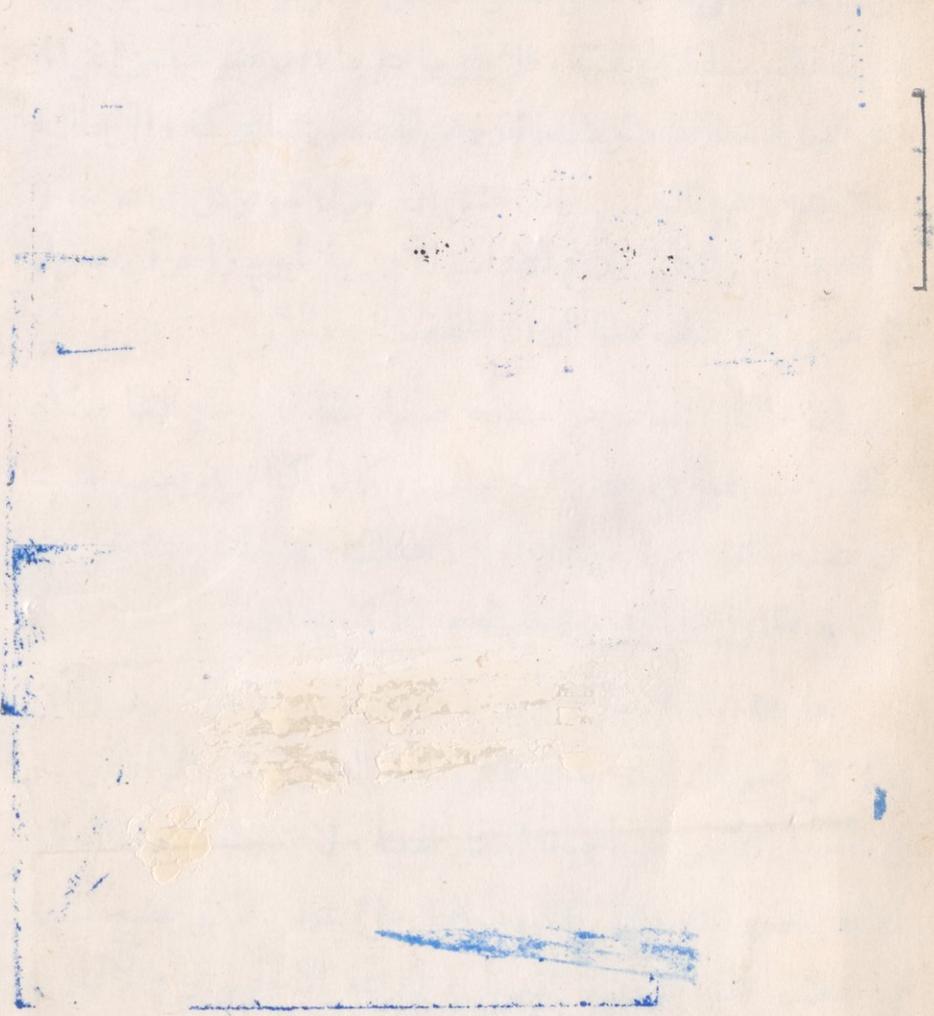
منها وحدها . . وما جادل أحد قط في أن «أوديب» سوفوكل، بلغت
من الكمال الفني أوجاً، هو مفخرة للذهن البشري . . ولعل شكسبير
أدرك ذلك بسليقته الفنية، فلم يقربها على ما في موضوعها من إغراء،
وهو الذي استعار موضوعات آثاره من القصص الدانمركية والأيطالية
واللاتينية واليونانية . . أترأه خشي أن ينازل سوفوكل في عرينه ؟
لو أنه فعل . . لكان تاريخ الآداب الأوربية اليوم زاخراً بفصول
لا تحصى في وصف هذا النزال المخيف ! . .

إن محاكاة القديم هي مشكلة صعبة حقاً . . بل إنها تكاد
تكون مستحيلة في بعض الأحوال . . كما لو كنا نريد بعنب جديد
أن نصنع للتو خمرة معتقة ! . . هنالك ولا شك سرٌّ خفي في
تركيب ذلك الخمر القديم يجعل له مذاقاً لا يضاهى . .

أما بعد . . فحسبنا أن حاولنا الصعب من الأمور . . ونحن
نعلم كل العلم أن الذي ينتظرنا في نهاية الطريق هو الإخفاق . .
إن أجزل الأجر هو أحياناً العمل نفسه، لا نتيجته . . وما أعظم
الأجر الذي نلته والثمر الذي تساقط على مجرد مكثي بضع سنين
في ظلال تلك الشجرة القديمة، الدائمة الأخضرار والأثمار :
تراجيديا سوفوكليس ! . .



LIBRY



DATE DUE

Shoholy 80/

DEC 1 1900

